ملخص البحث

من العلوم الجليلة حول القرآن الكريم علم أسباب النزول، الذي يعد واحدًا من عناصر السياق الخارجي، وقد اهتم المفسرون بمعرفته قديمًا وحديثًا؛ لدوره الكبير في توضيح المعنى المراد.

وكان من بين هؤلاء المعنيين به الإمام السيوطي؛ إذ أفرد له مؤلفًا خاصًا باسم لباب النقول في أسباب النزول، بجانب اهتمامه به في تفسيريه: الجلالين، والدر المنثور، وقد تعقب رواياته في هذه الأسفار الإمام محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا – الذي سار على منهجه– في تفسير المنار.

ولهذا عزمت على دراسة هذا الموضوع، بالإضافة إلى أنه يمثل شكلًا من الدراسات البيْنية التي نوّه بشأنها أساتذتنا كثيرًا في الحقل اللغوي، فأحصيت فيه أربعة وعشرين نموذجًا، وشرعت في تحليلها؛ للوقوف على معالم هذا التعقب، وتمييز صحيحه من ضعيفه، واستنباط نتائجه، في ضوء المنهج الوصفي، ووفق خطة جاءت –بعد المقدمة والتمهيد، وقبل الخاتمة والفهارس– في خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اقتضائه تخصيص المعنى وتمزيق السياق الداخلي.

والثاني: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في ضعف السند والمتن أو أحدهما.

والثالث: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للثابت من حال رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أو أقوالهم.

والرابع: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اختلاف التعبير أو خطأ التصوير.

والخامس: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للسياق الداخلي.

الكلمات المفتاحية: أسباب النزول– السياق الخارجي– تعقب– نقد– تفسير المنار– السيوطي.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

Abstract:

One of the great sciences of the Ever-Glorious Qur'an is the science of the occasions and reasons for revelation, which is one of the elements of the external physical context. Qur'an exegetes have been interested in knowing these occasions in the past and present, for its great role in clarifying the intended meaning. Among those concerned with this science was Imam Al-Suyuti who authored a special book on this subject entitled *Lubab Al-Nuqul fi Asbab Al-Nuzul* (*The Essence of Narrations on the Reasons for Revelation*). In addition, he extensively addressed occasions and reasons for revelation in his tow Qur'an exegesis, namely *al-Jalalayn* (*The Exegesis of the two authors named Jalal Al-Deen*) and Al-Durr Al-Manthur (*Dispersed Pearls*). Al-Suyuti's narrations in these books were tracked by Imam Mohamed Abdo, and then by his student Rashid Rida, who followed his predecessor's approach, in the Qur'an Exegesis of *Al-Manaar* (*The Loadstar*). Therefore, I have resolved to study this topic, recognizing that it represents a form of interdisciplinary studies that our professors have often stressed in the linguistic field. By meticulously gathering and examining twenty-four illustrative model cases, this research aims to identify the features of this tracking, distinguish between its sound and weak aspects, and infer its findings in light of the descriptive method, and in accordance with a research plan consisting of an introduction, a preface, six sections, indexes and a conclusion. The six sections are as follows: Section One: *Al-Manaar*'s tracking of Al-Suyuti's reasons for revelation in instances that require meaning specification and tearing the internal context apart. Section Two: *Al-Manaar*'s tracking of Al-Suyuti's reasons for revelation in instances that manifest weak transmission chain and/or text. Section Three: *Al-Manaar*'s tracking of Al-Suyuti's reasons for revelation in instances that contradict the established traditions and sayings of the Prophet Muhammad, peace be upon him, and his honorable companions. Section Four: *Al-Manaar*'s tracking of Al-Suyuti's reasons for revelation in instances that embody difference in expression or error in depiction. Section Five: *Al-Manaar*'s tracking of Al-Suyuti's reasons for revelation in instances that contradict the internal context.

Keywords: Occasions or Reasons for revelation, External physical context, Tracking, Criticism, Qur'an Exegesis of *Al-Manaar*, Al-

المقدمـــــــــة

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الذي أنزل القرآن بعلمه على رسوله الأواه المنيب، مبشرًا ونذيرًا، وسراجًا منيرًا، ليخرج الناس من هباء الشرك إلى عمران التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم والتجديد، بكتاب مبارك مجيد، مشتملًا في فنونه على الطريف والتليد، وهاديًا إلى حياة القدوة الحسنة في القول والفعل الرشيد، ليجعلها ذكرى لمن ألقى سمعه وهو شهيد. وبعد ..

فلبركة القرآن وحكمته، وإعجاز نظمه وتفصيل آياته، قد كثرت حوله العلوم، وتبارت في ساحة جلاله الفنون، كل يحاول أن يُلمّ من هذا الكنز الثمين بطرف، ليحوز منه بشرف، فكان علم النحو، والبلاغة، والصرف، والفقه .. إلخ.

ومن هذه العلوم علم أسباب النزول، الذي يعد واحدًا من عناصر السياق غير اللغوي، أو سياق الحال، أو المقام، أو السياق الخارجي، على اختلاف تسميته، وقد اهتم المفسرون بمعرفة أسباب النزول، وأدركوا من زمن سحيق أنه من الأمور الكاشفة عن المعنى المراد، فللمعنى في النص القرآني ظاهر وباطن، ويتوقف التفريق بينهما على معرفة الفرق بين المعنى المقالي، والمعنى المقامي للآيات.

والقرآن نزل منجمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، على أحداث، والمنهج الأقوم لتفسير النصوص القرآنية هو بإعادة ربطها بأسباب النزول؛ لأنها تمثل السياق التاريخي، دون تقييد الدلالة بهذا الحدث التاريخي، فهو لا يعدو كونه إجراء مرحليًا، تتمكن الدلالة من الانفلات من أسره إلى أحداث أخرى في أزمنة متعاقبة؛ حيث إن القرآن متجدد صالح لكل زمان ومكان.

لذا اهتم العلماء بسبب النزول؛ لمكانته من القرآن، فهو حافّ بآياته، مبين لمعناها، مزيل لإشكالها، وقد ظهر هذا الاهتمام في كتبٍ أُلفت في جمع رواياته خصيصى؛ كما فعل السيوطي، بجانب اهتمامه به في تفسيريه: الجلالين، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وقد تعقبه الإمام محمد عبده، وكذا تلميذه محمد رشيد رضا، الذي سار على منهج أستاذه في تفسير المنار، فإذا هو مهتم بنقدها في مقابل تساهل بعض المفسرين حيالها؛ إذ امتلأت مصنفاتهم بالغرائب والموضوعات، والضعاف.

وقد عنّت لي فكرة هذا البحث أثناء مطالعتي مجلة الأزهر، إذ في كل عدد منها يُنشر جزء من تفسير المنار، فوقعت عيني غير مرة على عبارات: (قال الجلال– قال السيوطي– وتعقبه الأستاذ الإمام) فتتبعت ذلك، فوجدت أن تفسير المنار قد تعقب السيوطي في عدة مجالات: في دلالة المفردات، وفي تأويل الجمل، وفي الظواهر التركيبية، وفي السياق الخارجي؛ من أسباب النزول وغيرها من الروايات التاريخية والإسرائيلية.

فاخترت تعقبه في أسباب النزول خاصة –دون الروايات التاريخية والإسرائيلية– لجِدّة هذه الفكرة، ولأنها من الدراسات البَيْنية التي طالما أوصى بها أساتذتنا حديثًا، ونوهوا بشأنها في الحقل اللغوي كثيرًا، فعزمت على دراستها تحت عنوان: (**تعقب تفسير المنار أسباب النزول عند السيوطي دراسة نقدية في السياق الخارجي**) مؤثرًا التعبير بـ(تفسير المنار) دون الإمام محمد عبده، مع أن أكثر التعقب له؛ لما للشيخ محمد رشيد رضا من إسهام في ذلك، وتكملة على منهج أستاذه.

الدراسات السابقة:

ولاهتمام هذا التفسير بظاهرة التعقب عامة، وتعقب أسباب النزول خاصة، فقد كثرت حوله الدراسات، ومنها:

- استدراكات صاحب المنار على الزمخشري في الكشاف من بداية سورة المائدة إلى نهاية سورة يوسف، للباحث/ محمد حامد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٣م.
- تعقبات رشيد رضا في تفسيره المنار على الفخر الرازي في تفسيره في مسائل التفسير وعلوم القرآن، دراسة تحليلية نقدية، للباحث/ منصور محمود أبو زينة، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك– إربد، ٢٠١٧م.
- تعقبات صاحب المنار على الآلوسي في تفسيره: المعاني التفسيرية أنموذجًا دراسة نقدية تحليلية، للباحث/ مفلح عودة الخشبان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج٣١، ع١، ٢٠٢٣م.

وبخصوص الإمام السيوطي؛ فهناك بحث بعنوان: استدراكات الإمام محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) في تفسير المنار على الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في تفسير الجلالين

سورة النساء أنموذجًا، للباحث/ محمد علي مبارك رضوان، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ع٦٥، ج١، ٢٠٢٢م. وهو خاص بسورة النساء، وفي غير أسباب النزول.

وأما بخصوص (أسباب النزول) في تفسير المنار، ففيها بحثان:

الأول: موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات، للباحث/ أحمد مفلح القضاة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ع/٢٨، ٢٠٠٤م.

وقد بيّن فيه موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول إجمالًا، ثم شرع في توضيحها مع ذكر مثال أو أكثر، دون تخصيص روايات السيوطي بالتحليل والمناقشة والتقييم؛ كما في بحثي.

والثاني: أسباب النزول وأثرها في فهم معاني الآيات القرآنية قراءة في تفسير المنار د/شعبان رمضان مقلد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم– جامعة المنيا، ٢٠١٧م.

وقد تناول في المبحث الثاني منه نظرة صاحب المنار لأسباب النزول، مع ذكر مثال موضح على سبيل الإجمال، دون تناول ما يخص السيوطي؛ مثل سابقه.

مشكلات البحث وتساؤلاته:

أما هذا البحث فقد قام أساسًا على تعقّب تفسير المنار أسباب النزول عند السيوطي، وتناول نماذجه المحصاة في (أربعة وعشرين) بالتحليل والمناقشة والاستنتاج؛ ليجيب على مشكلات البحث التي تظهر من خلال هذه الأسئلة:

- ما مدى صحة ما تبناه تفسير المنار: من أنّ تعلّق سبب النزول بالآية أو بجزء منها، مما يفكك الآيات، ويقطع اتصالها، ويجعل القرآن عضين؟
- ما العلاقة بين أسباب النزول وعلم المناسبات؟ هل هي علاقة ترابط؟ أم علاقة تضاد كما يُتوهم من تفسير المنار؟
- هل يفتقر القرآن الكريم بسياقه الداخلي إلى السياق الخارجي المتمثل هنا في أسباب النزول افتقارًا لازمًا، بحيث لا يمكن تفسير الآية إلا باستحضار رواياته؟ وأيهما حاكم على الآخر؟ هل النص حاكم على أسباب النزول أم العكس؟
- ما موقف صاحب المنار من أسباب النزول عند السيوطي خاصة؟ وما منهجه في تعقبها؟ وما صور هذا التعقب؟
- هل ظهر أثر المدرسة العقلية التي ينتمي إليها تفسير المنار في هذا التعقب؟

- وأخيرًا هل كان تفسير المنار موفقًا في كل مسائل هذا التعقب؟ أم للبحث والنظر رأي آخر حيالها؟

المنهج والخطة:

تلك أسئلة يحاول البحث الإجابة عنها أثناء تحليل نماذجه، وذلك في ضوء المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج، وفق خطة جاء رسمها على النحو الآتي:

- المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ودراساته السابقة، وتساؤلات البحث، ومنهجه، وخطته.
- التمهيد: السياق الخارجي (أسباب النزول) بين الإمام السيوطي وتفسير المنار.
- المطلب الأول: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اقتضائه تخصيص المعنى وتمزيق السياق الداخلي.
- المطلب الثاني: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في ضعف السند والمتن.
- المطلب الثالث: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للثابت من حال رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أو أقوالهم.
- المطلب الرابع: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اضطراب التعبير أو خطأ التصوير.
- المطلب الخامس: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للسياق الداخلي.
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، ووصاياه.
- الفهارس: وتتضمن ثبت أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تمهيـــــد
السياق الخارجي (أسباب النزول) بين الإمام السيوطي وتفسير المنار

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: أسباب النزول والسياق الخارجي

من الأفكار التي حظيت بانتشار واسع في التفكير اللغوي قديمًا وحديثًا فكرة السياق الخارجي، أو سياق الحال، أو المقام، على اختلاف تسميتها، وهي تجسد خاصية مهمة من خواص اللغة، وهي كونها ظاهرة اجتماعية[١] ويمثلها العالم الخارجي بما له من صلة بالحدث اللغوي، من الظروف النفسية، والتاريخية، والاجتماعية، وأحوال المخاطبين، وبيئة الخطاب المحيطة بالنص[٢] .

وسبب النزول يعد واحدًا من عناصر السياق الخارجي، ويقصد به: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه؛ كحادثة أو سؤال[٣] وعلماء علوم القرآن أطلقوا على كل ملابسات النزول مصطلح أسباب النزول، وهو من قبيل المجاز؛ حيث أطلق الجزء على الكل[٤] والمقصود بملابسات النزول: زمانه ومكانه، وأسباب النزول، والمخاطبون، وموضوع الخطاب[٥] .

ودراسة أسباب النزول تطلب دراسة نوعين من العلاقات:

---

(١) فصول في علم الدلالة د. فريد عوض حيدر ص١١٩، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط(٣) ٢٠١١م.

(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د.محمود السعران ص٣١١، دار الفكر العربي، ط(٢) ١٩٩٢م، نظرية السياق د. عبد النعيم خليل ص٨٢-٨٣، دار الوفاء بالإسكندرية، ط(١) ٢٠٠٧م، العربية وعلم اللغة البنيوي د. حلمي خليل ص١٣٥، ط/دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٥م، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق د/خلود العموش ص١٥١، عالم الكتب الحديث بالأردن، ط(١) ١٤٢٩هـ.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١١٦/١، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني١٠٦/١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط(٣)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة ص١٣٢، مكتبة السنة بالقاهرة، ط(٢) ٢٠٠٣م، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٧٨، ط/الدار السعودية للنشر.

(٤) ينظر: فصول في علم الدلالة د. فريد عوض حيدر ص١٤٦.

(٥) ينظر: الخطاب القرآني ص١٥١.

١. علاقات داخلية بين عناصر الحدث اللغوي في ذاته.

٢. علاقات داخلية في إطار الموقف الذي يتم فيه الحدث.

فالمكونات الأساسية للمعنى الكامل هي وظيفة السياق الداخلي والخارجي معًا[١].

فلا شك أن السياق ببعديه: اللغوي الداخلي، والمقامي الخارجي يقدم بين يدي فهم النص نسقًا من العناصر التي تقوي فهمه؛ لأن العلم بأسباب النصوص التي تكون وراء نزولها يورث العلم بالمسبَّبات، ويقطع عنها الاحتمالات غير المرادة[٢].

وأسباب النزول تعد من السياق القرآني التاريخي، الذي ينقسم إلى عام وخاص، فالعام: هو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص: هو أسباب النزول[٣] .

ولما كان الكشف عن معنى النص يتطلب معرفة الظرف الخارجي الذي قيل فيه، اهتم اللغويون العرب عمومًا، وعلماء التفسير والحديث والبلاغة بوجه خاص بمعرفة الأحوال المصاحبة للحديث؛ كمعرفة حال المتكلم، أو السامع، أو البيئة العامة، أو سبب نزول الآية، أو ورود الحديث، أو غير ذلك مما يسمى بالعناصر غير اللغوية التي تساعد في كشف المعنى وتحديده، وجاءت الإشارات الأولى إلى ضرورة مراعاة هذا السياق الخارجي عند علمائنا اللغويين؛ كسيبويه، والجاحظ، وابن جني، وغيرهم[٤].

أما المفسرون فقد أدركوا منذ وقت مبكر أيضًا أن معرفة سبب نزول الآية من الأمور الكاشفة عن المعنى المراد؛ لأن الصحابة (رضوان الله عليهم) كانوا في الغالب على علم بالظروف التي تنزلت فيها الآيات، ولذا اعتمد المفسرون على مروياتهم في

---

(١) ينظر: علم اللغة الحديث د/محمد حسن عبد العزيز، ص٣٢٨، مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١١م، دراسة المعنى عند الأصوليين د/طاهر سليمان حمودة ص٢١٤، ط/الدار الجامعية،١٩٨٣م.

(٢) ينظر: أثر السياق في فهم النص القرآني د/عبد الرحمن بودرع، ص٧٢، مجلة الإحياء بالمغرب ع/٢٥ يوليو ٢٠٠٧م

(٣) ينظر: السابق ص٧٣.

(٤) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي ص٥٨-٦٥، دار المنار بالقاهرة ط(١) ١٩٩١م.

فهم الآية[١] مدركين منذ زمن سحيق الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه؛ بناء على الفرق بين المعنى المقالي، والمعنى المقامي للآيات[٢] .

ارتباط نوعي السياق: الداخلي والخارجي:

إن الفهم المتجدد للقرآن ينطلق من تأمل النص بسياقه العام بنوعيه: الداخلي والخارجي، والعلاقة التكاملية بينهما، وأسباب النزول تعد من أهم عناصر السياق في فهم النص القرآني[٣] فمن المعلوم أن النص القرآني نزل متفرقًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا على وقائع وأحداث، والمنهج الصحيح لتفسير النصوص القرآنية هو بإعادة ربطها بأسباب النزول[٤] .

وبذلك تلتقي النصوص التقاء تتأكد به وحدة النص وانسجام عالمه، فأسباب النزول تمثل السياق الاجتماعي والتاريخي الحافّ بالنص، وبها يُدرك المعنى الدقيق، من غير ارتباطها بالحدث المحدد؛ لأن ذلك إجراء مرحلي تتمكن الدلالة من خلاله من الانفلات من أسر الواقع وقيوده إلى وقائع أخرى وأزمنة أخرى، وبهذا كان النص القرآني متجددًا صالحًا لكل زمان ومكان[٥] .

لذلك تسير حركة تحليل النصوص في اتجاهين: الأول: من خارج النص إلى داخله، أي من السياق الاجتماعي إلى البنية الداخلية، والثاني: من داخل النص إلى خارجه، ويمكن به اكتشاف أسباب النزول من داخل النص، كما يمكن اكتشاف دلالة النص بمعرفة سياقه الخارجي[٦] .

---

(١) ينظر: دلالة السياق د/البركاوي ص٧٠، الخطاب القرآني ص١٢٧-١٢٩.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها د/تمام حسان ص٣٣٩، عالم الكتب ط(٦) ٢٠٠٩م.

(٣) ينظر: المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير د.عادل رشاد غنيم، ص٥٤، بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية بالرياض، مج٢، ٢٠١٣م.

(٤) ينظر: المنهج السياقي ص٤٨، الخطاب القرآني ص٨٣، دلالة السياق في النص القرآني د/علي حميد خضيّر ص٦٦، الأكاديمية العربية في الدانمارك، ٢٠١٤م.

(٥) ينظر: النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن د/محمد عبد الباسط عيد ص١٥٠، ١٥١، ١٥٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.

(٦) ينظر: الخطاب القرآني ص٨٨، ١٥٣.

علاقة أسباب النزول بعلم المناسبة:

وقد وقف علماء القرآن أمام كثير من الآيات التي خفي وجه التناسب فيها، ولم يكن أمامهم لكشف هذا الغموض إلا السياق الخارجي، ومنه أسباب النزول[١] فالقرآن الكريم هو أحرص الكتب على التناسق الفني، وعلماؤه المحققون أحرص الدارسين على اقتناص أسرار تناسقه؛ فقد يعوض بوجوه المناسبة بين آياته أسباب نزولها إن لم تعرف، وقد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها، ويزيدها ارتباطًا، ويشيع في سياقها كله حركة ونشاطًا[٢] فالنص القرآني من حيث النزول مرتبط بالوقائع والأسباب، ومن حيث ترتيبه في المصحف يتجاوز هذا الارتباط ليقيم روابط أخرى ضمن علم المناسبة بين الآيات[٣] .

أهمية أسباب النزول:

معرفة أسباب النزول إذن مهمة لمن أراد علم القرآن لأمرين[٤] : الأول: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال. والثاني: أن الجهل بأسباب التنزيل مُوقع في الشبه والإشكالات.

وفي أهمية معرفة أسباب النزول قال الواحدي: "هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٥] وقال ابن دقيق العيد: "وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحفّ بالقضايا"[٦] .

---

(١) ينظر: النص والخطاب ص١٦٦، ١٧٠.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن د/صبحي الصالح ص١٥٧، دار العلم للملايين، بيروت ط(١٠) ١٩٧٧م.

(٣) ينظر: الخطاب القرآني ص٨٣ .

(٤) ينظر: الموافقات للشاطبي ١٤٦/٤، تح/أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان ط(١) ١٩٩٧م.

(٥) أسباب النزول للواحدي ص٨، تح/عصام الحميدان، دار الإصلاح بالدمام، ط(٢) ١٩٩٢م.

(٦) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢٥٩/٢، دار عالم الكتب بيروت - بالاتفاق مع دار الكتب السلفية بالقاهرة، ١٩٨٧م.

فوائد معرفة أسباب النزول:

ولهذا العلم فوائد جليلة –وأخطأ من ظن أنه لا فائدة له– ويتلخص أبرزها فيما يأتي[١]:

١. الوقوف على المعنى ودفع الإشكال.
٢. معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
٣. دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر.
٤. معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين.
٥. معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية، إذا ورد مخصص لها.
٦. تيسير الحفظ وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية، إذا عرف سببها.
٧. تخصيص الحكم به عند من يرى العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

العبرة بعموم اللفظ:

لكن رأي الجمهور قد انعقد على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمقصود الشارع أن يعم بالحكم جميع المكلفين، ودليل ذلك: عدوله إلى التعبير بالألفاظ العامة التي تشمل سائر الأفراد، دون الألفاظ الخاصة التي تقتصر على أصحاب الواقعة[٢] فكأن جميع القارئين بما توالى عرضه من أقاصيص أسلافهم يتخيلون أنها أقاصيصهم هم إذ يرتلون آيات الله، فما سبب النزول إلا قصة تستمد

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٢-٢٩، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط(١) ١٩٥٧م، الإتقان للسيوطي ١/١٩٠-١٩٥، مناهل العرفان للزرقاني ١/١٠٩، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (مقدمة التحقيق) ص١٩، دار ابن حزم، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٧٠-٧٣، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد عقيلة ١/٢٩٢، تح/مجموعة رسائل جامعية، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، ط(١) ١٤٢٧هـ، دراسات في علوم القرآن د/فهد الرومي ص١٥٣-١٦١، فهرسة مكتبة فهد الوطنية بالرياض ط(١٤) ١٤٢٦هـ، المدخل لمحمد أبو شهبة ص١٣٦-١٤٣، الاستيعاب في بيان الأسباب- سليم الهلالي، محمد آل نصر ١/٧، دار ابن الجوزي بالدمام، ط(١) ١٤٢٥هـ.

(٢) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ص٥٥، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٧٤-٧٦.

من الواقع عرضها وحلها، وعقدتها وحبكتها، وأشخاصها وأحداثها، وتجعل آيات القرآن تتلى بشغف ووَلوع[١] .

ومع ذلك فهناك أخطاء تقع عند تناول أسباب النزول، وتتلخص بواعثها فيما يأتي[٢] :

١. أن يقع الخطأ في الإسناد.
٢. أن تقع المخالفة بين سبب النزول وآيات القرآن باعتبار التاريخ.
٣. أن تقع المخالفة بين سبب النزول وآيات القرآن باعتبار السياق.
٤. وقوع الالتباس في التعبير.
٥. مخالفة سبب النزول للثابت المستقر من حال الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

وعلى الدارس أن يسلك سبيل النجاة من هذه الأخطاء، وأن يتحرى ضوابط الترجيح في أسباب النزول، وهي تتلخص في الآتي[٣] :

١. الترجيح بتقديم الصحيح على الضعيف.
٢. الترجيح بتقديم السبب الموافق للفظ الآية على غيره.
٣. الترجيح بتقديم قول صاحب القصة على غيره.
٤. الترجيح بتقديم قول الشاهد للسبب على الغائب عنه.
٥. الترجيح بدلالة السياق القرآني.
٦. الترجيح بدلالة الوقائع التاريخية.

*****

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن د/صبحي الصالح ص١٣٠.

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة د/خالد المزيني ١/٧٢-٩٨، دار ابن الجوزي بالدمام، ط(١) ١٤٢٧هـ.

(٣) ينظر: السابق ص١٥٨-١٨٨ .

المطلب الثاني: أسباب النزول بين الإمام السيوطي وتفسير المنار

أ- أسباب النزول عند الإمام السيوطي:

اعتنى الباحثون في علوم القرآن بمعرفة سبب النزول، ولمسوا شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن، فأفرده جماعة منهم بالتأليف، ومن أشهرهم: على بن المديني (ت٢٣٤هـ) شيخ البخاري، ومطرف الأندلسي (ت٤٠٢هـ) في كتابه: القصص والأسباب التي من أجلها نزل القرآن، والواحدي (ت٤٦٨هـ) في كتابه: أسباب النزول، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه: أسباب نزول القرآن، لكنه لم يصلنا، والجعبري (ت٧٣٢هـ) الذي اختصر كتاب الواحدي بحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئًا، وابن حجر (ت٨٥٢هـ) في كتابه: العجاب في بيان الأسباب، ثم السيوطي (ت٩١١هـ) في: لباب النقول[١] بجانب مصنفات أخرى كثيرة أُلفت في هذا العصر، وهي مثبتة في مصادر هذا البحث وحواشيه.

والسيوطي[٢] في كتابه لباب النقول جمع كثيرًا من الروايات، متممًا النقص في كتاب الواحدي، فزاد كثيرًا عليه، وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب[٣] حيث ذكر أن كتابه يتميز من كتاب الواحدي بستة أمور:

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي ٢٢/١، الاتقان للسيوطي ١٨٩/١، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٦٦-٦٧، دراسات في علوم القرآن الكريم د/فهد الرومي ص١٤٨-١٤٩، المدخل لدراسة القرآن د/محمد أبو شهبة ص١٣٢.

(٢) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الأصل، الطولوني الشافعي، الإمام الكبير صاحب التصانيف، أجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران واشتهر ذكره، وقد نشأ بالقاهرة يتيمًا، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، فألف أكثر كتبه، ثم توفي بالقاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وله اثنتان وستون سنة. ينظر في ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦٥/٤-٧٠، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ٢٤٨/٢-٢٤٩، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٣٢٨/١-٣٣٥، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص٣٤٢-٣٤٣، معجم المؤلفين ١٢٨/٥، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ١٢٤/٢-١٢٧، حسن المحاضرة للسيوطي ٣٣٥/١-٣٤٤.

(٣) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٩-١٠، تح/عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢٠٠٦م.

الأول: الاختصار، والثاني: الجمع الكثير، والثالث: عزوه كل حديث إلى مَن خرّجه من أصحاب الكتب المعتبرة، والرابع: تمييز الصحيح من غيره، والخامس: الجمع بين الروايات المتعددة، والسادس: تنحية ما ليس من أسباب النزول.

وللسيوطي أيضًا اهتمام بأسباب النزول في تفسيريه: الجلالين، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وفيهما جرى على مذهب بعض المفسرين الذين يتساهلون في الرواية، عكس المحدّثين الذين تشددوا في قبول الرواية[1] .

ب- أسباب النزول في تفسير المنار:

لم يكن تفسير المنار من تلك التي تتساهل في قبول الرواية؛ حيث كان الأستاذ الإمام[2]

---

(1) ينظر: أسباب النزول للسيوطي (مقدمة المحقق) ص٤، تح/حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث ، ط(٢) ٢٠١٣م. علمًا بأن (تفسير الجلالين) ينسب لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي؛ حيث فسر الأول من سورة الكهف إلى الناس، مع الفاتحة، وفسر الثاني من سورة البقرة إلى الإسراء.

(2) هو محمد بن حسن خير الله، من آل التركماني، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية، ونشأ في محلة نصر بالبحيرة، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتفلسف وعمل في التعليم، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، فناوأ الإنجليز، ولقي من ذلك عنتًا ونفيًا، ولما عاد تولى منصب القضاء، ثم مفتيًا للديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م، ودفن في القاهرة، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الحكيم، واشتهر بتفسير المنار نسبة إلى المجلة التي كان ينشر فيها، وفيه بدأ التفسير من أول القرآن إلى الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة النساء. ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي ٢٥٢/٦، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٧٢/١٠-٢٧٣، الموسوعة الميسرة ٢٢٠٨/٣، معجم المفسرين، عادل نويهض ٥٦٦/٢، في الأدب الحديث، عمر الدسوقي ٢٨٠/١-٣٠٧، المجددون في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي ص٣٩٩-٤٠٥، التفسير ورجاله للطاهر بن عاشور ص١٦٢-١٦٦، ولمن أراد المزيد في سيرته فليراجع: تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا، الأستاذ الإمام محمد عبده لعبد المنعم حمادة.

وتلميذه محمد رشيد رضا[١] على درجة كبيرة من التمحيص والتدقيق في روايات أسباب النزول سندًا ومتنًا.

فمصنفات التفسير حيال أسباب النزول قسمان: فمنها ما كان ينقل ويردد دون تمحيص، وتلك شِنْشِنة تُعرف من قوم يرون العلم أمانة؛ لذا فهم يعرضون كل ما يعلمون، ومنها ما توقف واستشكل؛ كالقرطبي قديمًا، والمنار حديثًا[٢] .

وقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة التفسير، فقال: "وأما الروايات المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير، فمنها ما هو ضروري أيضًا؛ لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل، وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب، كما قال الحافظ ابن كثير"[٣]

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الإمام محمد عبده وتلمذ له، وواظب على حضور درسه بالجامع الأزهر، وكان يكتب بعض ما يسمع، ويزيد عليه بما يذكره منه بعد ذلك، ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلة المنار، بعد مراجعة أستاذه لما كتب، وبعد وفاة أستاذه أكمل التفسير إلى الآية الثانية والخمسين من سورة يوسف بنفس المصادر والمنهج والهدف، ولا فرق بين الرجلين إلا في القليل النادر، وتوفي سنة ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م، ودفن بالقاهرة. ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي ١٢٦/٦، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص٢٨٨-٢٩٩، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣١٠/٩-٣١١، الموسوعة الميسرة ٢٥٣٨/٣-٢٥٥٣، معجم المفسرين، عادل نويهض ٥٢٩/٢، المجددون في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي ص٤٠٦-٤١٠.

(٢) ينظر: التدقيق في أسباب النزول د/محمد رجب البيومي ص١٣، مجلة التضامن الإسلامي س٣٥، ج٢، شعبان/ يونيو ١٩٨٠م.

(٣) تفسير القرآن الحكيم المسمى: تفسير المنار للأستاذ الإمام محمد عبده، تأليف/ محمد رشيد رضا، ٨/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

فصاحب المنار لم يكتف بالنقل، بل نظر في روايات أسباب النزول من جهة سندها صحة وضعفًا، ومن جهة متنها من حيث ملاءمته لسياق الآيات ووحدتها الموضوعية، ويمكن تلخيص موقف تفسير المنار من أسباب النزول فيما يأتي[١]:

١.رفض أي رواية يفهم منها تمزيق النص القرآني، الذي يرتبط أوله بآخره، ويمتاز بتماسك سياقه.

٢.فرق بين الآيات التي تحتاج إلى سبب نزول، والتي لا تحتاج إلى ذلك.

٣.اشترط أن يكون لسبب النزول إشارة واضحة في الآية.

٤.نظر في عموم النصوص القرآنية دون تقييدها بحوادث معينة، فالآيات قد تشتمل بعمومها على تلك الحوادث دون أن تكون سببًا في نزولها.

٥.رفض قضية تعدد الأسباب للآية الواحدة، إذا كان الفاصل الزمني بين السببين أو الأسباب طويلًا.

هذا عن موقفه حيال أسباب النزول عمومًا، أما عن موقفه تجاهها عند السيوطي خصوصًا وتعقبه له، فسوف ينجلي -إن شاء الله- من خلال مطالب هذا البحث.

□

(١) ينظر: موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات د/أحمد مفلح القضاة، مجلة الدراسات الإسلامية والعربية، ع/٢٨، ديسمبر ٢٠٠٤م.

المطلب الأول: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اقتضائه تخصيص المعنى وتمزيق السياق الداخلي

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٥]

ذهب السيوطي في تفسير الجلالين[١] إلى أن قائل الأول يهود المدينة، وقائل الثاني نصارى نجران، في إشارة إلى سبب النزول الذي يمثل السياق الخارجي للآية.

فتعقبه الإمام محمد عبده قائلًا: "والتحقيق أن الآية في بيان طبيعة أهل الملتين كما تقدم، وقول يهود المدينة ونصارى نجران ما ذكر –إن صح– لا يقتضي التخصيص، فإنهم ما قالوا إلا ما هو لسان حال ملتهم، وغيرهم يقول مثل قولهم، أو يصدق القائلين باعتقاده وسيرته"[٢].

بادئ ذي بدء؛ في سبب نزول هذه الآية روايتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، فأما القصيرة فهي –كما ذكر الطبري– "عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله ابن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾"[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي ص٢٨، ط/ دار الحديث بالقاهرة.

(٢) تفسير المنار ٣٩٧/١ .

(٣) تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٨٩/٢، تح/د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط(١) ١٤٢٢هـ، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤١/١، تح/أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية، ط(٣) ١٤١٩هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، تح/مجموعة رسائل جامعية، بجامعة الشارقة، نشر/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة بالشارقة، ط(١) ٢٠٠٨م، تفسير ابن كثير ٤٤٨/١، تح/سامي بن محمد السلامة، دار طيبة لنشر والتوزيع، ط(٢) ١٩٩٩م، تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١٨٥/١، تح/ د.حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط(١) ١٩٩١م. ومن كتب الآثار ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٤٩/١، تح/مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط(٢)١٩٥٥م، الروض الأنف للسهيلي ٢٤٣/٤، تح/عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١) ٢٠٠٠م.

أما الرواية الأخرى الطويلة، فهي عن ابن عباس أن الآية نزلت في يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى نجران: السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في أنهم أحق بالدين منهم، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وقال كل منهما للمسلمين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك[1] وقد عنيت بإيراد هاتين الروايتين أو إحداهما كتب أسباب النزول[2] .

([1]) ينظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٤٩/٤، تح/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط(١) ٢٠٠٢ م، التفسير البسيط للواحدي ٣٥١/٣، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط(١) ١٤٣٠ هـ، تفسير البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٧١/١، تح/عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط(١)١٤٢٠ هـ، تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، تح/محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٥هـ، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٦٤٥/١-٦٤٦، تح/ صدقي محمد جميل ورفاقه، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

([2]) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٤١، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٣٨٠/١، لباب النقول للسيوطي ص٢٤، إرشاد الرحمن لأسباب النزول للشيخ/ عطية بن عطية الأجهوري ص٦٥، تح/أبو الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، بيروت، ط(١) ٢٠٠٩م، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول– الشيخ خالد عبد الرحمن العِكّ، ص٣٣، دار المعرفة، بيروت، ط(١) ١٩٩٨م، الاستيعاب في بيان الأسباب– سليم الهلالي، ومحمد آل نصر، ص٧١–٧٢، صحيح أسباب النزول– إبراهيم محمد العلي، ص٢٦، دار القلم بدمشق، ط(٢) ٢٠١٤م، الصحيح من أسباب النزول– عصام الحميدان ص ٣١، مؤسسة الريان، بيروت، ط(١) ١٩٩٩م، الجامع في أسباب النزول– حسن عبد المنعم شلبي ص٥٢–٥٣، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط(١) ٢٠١٠م، جامع النقول في أسباب النزول– ابن خليفة عليوي ص١٥٩، مطابع الإشعاع بالرياض، ط(١) ١٤٠٤هـ.

وبالرجوع إلى تعقب الإمام محمد نجد فيه تشككًا في سبب النزول، وهو محق في ذلك؛ فقد اختلفت فيه الآراء بين مصحح له ومضعف؛ إذ حُكم على هذه الرواية من طريق محمد بن أبي محمد بالضعف؛ لأنه مجهول[١] بينما ذهب آخرون إلى أن هذه الرواية إسنادها حسن جيد[٢] ويعاضد ذلك رواية ابن عباس الأخرى الطويلة.

كما نجد في التعقيب (أن سبب التنزيل هذا لا يقتضي التخصيص) وهذا الكلام يتردد كثيرًا في فكر الإمام حيال روايات أسباب التنزيل، كأن إيراد السبب مفضٍ حتمًا إلى تخصيص النص وتفكيكه، مع أن جمهور العلماء قد نص على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣] وقد نص السيوطي نفسه على ذلك في الإتقان[٤] فتعقُّب الإمام إن جاز في تشكيكه في صحة الرواية، فهو لا يجوز في شقه الآخر بأنه يقتضي التخصيص؛ فالضمير في قوله تعالى: {وقالوا} يعود على يهود المدينة ونصارى نجران كما في سبب النزول، فهم القائلون ذلك؛ ويدل عليه السياق التاريخي أيضًا؛ فهم الموجودون زمن النبي ﷺ وبجواره، ويعاضدهما السياق الداخلي المتمثل في قوله تعالى: {قل} أي قل لهم يا محمد، لا نتبع اليهودية ولا النصرانية، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفًا.

---

(١) ينظر: الثقات لابن حبان ٤٠١/٧، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ٧٣/٢، تح/إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ط(٢) ١٤٠١هـ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٢٦/٤، تح/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط(١) ١٣٨٢هـ ، لسان الميزان لابن حجر ١٠٣/٧، أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان للطبري ص١١٩، رقم٦٢.

(٢) ينظر: الصحيح من أسباب النزول د/عصام الحميدان ص٣١، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور د/حكمت بن بشير، دار المآثر بالمدينة، ط(١) ١٤٢٠هـ، صحيح أسباب النزول- محمد العلي ص٢٦ ح/٢.

(٣) ينظر: العجاب لابن حجر ١٧٥/١، البرهان للزركشي ٣٢/١، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام- صديق حسن خان ص٤٥، المعجزة الكبرى- محمد أبو زهرة ص٤٠٠، مناهل العرفان للزرقاني ١٣١/١، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٨٢، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ص٤٣٢ .

(٤) ينظر: ١١٠/١ .

ومن ثم فالسيوطي لم يقصد بإيراد سبب النزول التخصيص، مع علمه بأن العبرة بعموم اللفظ، فهو لا يخالف تفسير المنار -إذن- في أن الآية في طبيعة أهل الملتين، وأن المتكلمين ما قالوا إلا ما هو لسان حال ملتهم، فظهر أنه ليس هناك ضرورة ملحة لتنبيه الأستاذ الإمام إلى أن سبب التنزيل لا يقتضي الخصيص.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٣٩].

قدم السيوطي تفسير هذه الآيات بسبب نزولها، فذكر أن اليهود قالوا للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيًا لكان منا، فنزلت الآيات[١] وقد أورد هذا السبب كثير من المفسرين[٢] كما جاء في بعض كتب أسباب النزول[٣] لكن صاحب تفسير المنار تعقبه قائلًا: "هذا ضرب آخر من محاجة أهل الكتاب، جار على نسق سابقه، مؤتلف معه، متصل به غير منقطع، ولا نازل في واقعة خاصة للرد على كلمات قالها اليهود؛ كما ذهب إليه (الجلال) وغيره؛ إذ قالوا: إن اليهود قالوا يجب أن يكون جميع الناس تابعين لنا في الدين؛ لأن الأنبياء منا والشريعة نزلت علينا، ولم يعهد في العرب أنبياء ولا شرائع، نعم لا ننكر صدور هذا القول من اليهود، فإنهم كانوا يقولون مثله دائما، وإنما نقول: إن الآيات

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين ص٢٧-٢٨ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٦٠٧/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٧/١، تح/عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط(١) ١٤٠٨هـ، تفسير الماتريدي: تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٥٨٠/١، تح/مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط(١) ١٤٢٦هـ، تفسير البغوي ١٧٣/١، التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٤٨٣/٢-٤٨٤، تح/ماهر أديب وآخرين، دار اللباب- تركيا، ط(١) ١٤٤٠هـ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١٧/١، تح/عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ، تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٠٩/١، تح/محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١) ١٤١٨هـ، البحر المحيط ٦٥٧/١.

(٣) ينظر: العجاب لابن حجر ٣٨٤/١، الجامع في أسباب النزول ص٥٣.

متناسقة مع ما قبلها متممة له، مزيلة لشبهات كانت فاشية في القوم في كل مكان، لا خاصة برد قول لأحد يهود الحجاز"[١].

فصاحب المنار لم ينكر صدور هذا القول من اليهود والنصارى، وإنما ينكر تخصيصه للآيات، وقطع اتصالها بسابقتها، ويُرد عليه بأن سبب النزول لم يخصص الآيات، ولم يقطع اتصالها بما قبلها، بدليل السياق الداخلي؛ حيث تقع هذه الآية بعد آية المسألة السابقة: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥] بثلاث آيات فقط، وهي جميعًا في إطار محاجة أهل الكتاب كما ذكر تفسير المنار، ولفظ (قل، قولوا، وقالوا) مع تردد الضمائر في هذه الآيات، يحيل المتلقي إلى حياة النبي ﷺ وما جرى فيها من أحداث، وهذا هو السياق الخارجي الحافّ بالآيات، ولا يمكن تجاوزه في نتاجه الدلالي، وتعانقه مع السياق الداخلي هنا.

فالآيات من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ﴾ [البقرة: ١٤١] مرورًا بالآية التي معنا هنا: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٩] جميعها سيق في غرض واحد، وهو محاجة أهل الكتاب؛ لإبطال ما هم عليه من ملل غير ملة الإسلام.

ومن ثم فسبب النزول الذي أورده السيوطي هنا لا يقطع اتصال الآيات، فهي كاللحمة الواحدة لفظًا ومعنى، ولا مانع من صدور هذا القول ابتداء من بعض اليهود، ثم يعم سائرهم؛ لأن القرآن نزل على النبي ﷺ في وقائع، فهي تشمل ما نزلت بشأنه وما شابهه من وقائع حتى تقوم الساعة.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]

فسر السيوطي (إيمانكم) في الآية بـ(صلاتكم) بناء على ما ورد في سبب نزولها؛ من سؤال الصحابة رضي الله عنهم عمن مات قبل التحويل[٢] وقد نص على هذا التفسير

---

(١) تفسير المنار ١/٤٠٠.

(٢) ينظر: تفسير الجلالين ص٣٠.

جمهور المفسرين مع ربطه بسبب النزول على نحو ما ذكر السيوطي[١] وكذلك أهل الحديث والأثر[٢] وسجلته كتب أسباب النزول[٣] لكن صاحب تفسير المنار تعقب ما ذكره الجلال قائلًا: "أكثر المفسرين ومنهم (الجلال) على أن المراد بالإيمان هنا الصلاة؛ إذ ورد أن بعض المؤمنين أحبوا أن يعرفوا حال صلاتهم قبل التحويل، أو صلاة من مات ولم يصل إلى الكعبة، فأراد الله أن يبين لهم أنه يتقبل من الصلاة ما كان أثر الإيمان الخالص ... وقال الأستاذ الإمام: إن سياق الآية بل الآيات يدل على أن الإيمان هنا مستعمل في معناه ...

وهذا الذي قاله الإمام ظاهر لكل من يفهم هذا السياق العجيب، ومن عجيب شأن رواة أسباب النزول أنهم يمزقون الطائفة الملتئمة من الكلام الإلهي، ويجعلون القرآن عضين متفرقة، بما يفككون الآيات، ويفصلون بعضها عن بعض، وبما يفصلون بين الجمل الموثقة في الآية الواحدة، فيجعلون لكل جملة سببًا مستقلًا، كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة في مسألة واحدة سببًا مستقلًا"[٤] .

فصاحب المنار تعقب الجلال هنا مع جمهور المفسرين، وهم كثر؛ حتى نقل بعضهم الاتفاق في ذلك؛ كابن العربي الذي قال: "اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٨٣/١، تح/محمد على النجار ورفاقه، ط(١) لدار المصرية، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢١/١، تفسير ابن أبي حاتم ٢٥١/١-٢٥٢، تفسير الماتريدي ٥٨٧/١، تفسير الثعلبي ١٨١/٤-١٨٢، الهداية لمكي ٤٨٦/١، التفسير البسيط ٣٢٨/٣-٣٨٣، زاد المسير ١٢٠/١، البحر المحيط ١٨/٢.

(٢) ينظر: مسند أحمد ٤٢٦/٤، صحيح البخاري ١٧/١، ٢١/٦، سنن الترمذي ٢٠٨/٥، صحيح ابن حبان ٤٥١/٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٧٨/١١.

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٤٢-٤٤، العجاب لابن حجر ٣٩٢/١، لباب النقول للسيوطي ص٢٥، إرشاد الرحمن ص٧٥-٧٦، تسهيل الوصول ص٣٤، الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي ص٢٥، مكتبة صنعاء الأثرية ط(٢) ١٤٢٥هـ، الاستيعاب ص٧٥-٧٦، المحرر ص٢٢٠، صحيح أسباب النزول ص٢٧-٢٨، الصحيح من أسباب النزول ص٣٣-٣٤، الجامع ص٥٥-٥٦.

(٤) تفسير المنار ٩/٢-١٠.

مات وهو يصلي إلى بيت المقدس"[١] وكذلك قال القرطبي[٢] على أن هناك من فسر الإيمان في الآية بالتصديق أيضًا[٣] .

لكن البحث يرجح ما عليه جمهور المفسرين، متخذًا من السياق الداخلي والقرآني دليلًا على ذلك؛ حيث ورد ذكر القبلة في الآية في قوله: {ما ولاهم عن قبلتهم} وقوله: {وما جعلنا القبلة التي كنت عليها} ولا شك أن القبلة والصلاة مقترنان، كما يدل على أن المراد بـ(إيمانكم) صلاتكم قوله تعالى في الآية: {وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله} حيث ذهب بعضهم إلى أن الكبيرة هي الصلاة التي كانوا صلوها إلى القبلة الأولى[٤] وقد قال الله تعالى آنفًا في ذات السورة: {واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين} فالضمير في (وإنها) يعود إلى الصلاة.

بالإضافة إلى ما سبق تأكيده من أن ذكر سبب النزول لا يقطع اتصال الآيات، ولا يجعل القرآن عضين كما صرح صاحب المنار؛ فبعض القرآن نزل على رسول الله ﷺ وَفقًا لوقائع تعليمًا وإرشادًا، ثم وضعت الآيات في مكانها من السورة توقيفًا من الله تعالى؛ لتلتئم مع الآيات السابقة واللاحقة، فأي بأس في ذلك؟!

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [البقرة:١٦٣- ١٦٤]

قال السيوطي في تفسير الجلالين[٥] : "ونزل لما قالوا صف لنا ربك ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾... وطلبوا آية على ذلك فنزلت: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ١٦٤]".

---

(١) أحكام القرآن ٦٢/١.

(٢) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/٢، تح/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط(٢) ١٣٨٤هـ.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٥٧/٢-١٥٨، سيرة ابن هشام ٥٥٠/١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٦٤٨/٢.

(٥) ينظر: ص٣٣.

وتعقبه صاحب المنار قائلًا: "أرأيت هذا الاتصال المحكم بين الآية وما قبلها؟ إن بعض المفسرين قد قطع عراه وفصمها، وجعل الآية جوابًا لقوم قالوا للنبي ﷺ انسب لنا ربك، قاله (الجلال).

ويقول الأستاذ الإمام: إن سبب النزول إنما يُحتاج إليه في آيات الأحكام؛ لأن معرفة الوقائع والحوادث التي نزل فيها الحكم، تعين على فهمه وفقه حكمته وسره، ومثلها ما فيه إشارة إلى بعض الوقائع؛ كغزوة بدر والنصر فيها، ومصيبة المؤمنين في أحد، وأما الآيات المقررة للتوحيد –وهو المقصود الأول من الدين– فلا حاجة إلى التماس أسباب لنزولها ..إلخ"[١] .

لكن البحث لم يعثر على أحد من العلماء قصر فائدة أسباب النزول على ما ذكره صاحب المنار؛ فمن المعروف أن سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه؛ سواء أكانت تلك الحادثة خصومة دبت، أم خطأ فاحشًا ارتكب، أم تمنيًا ورغبة .. إلخ[٢] .

ومن ثم فسبب النزول ليس مقصورًا على آيات الأحكام، وبعض الوقائع؛ كما ذهب الإمام محمد عبده، بل هو يتعدى ذلك إلى غاية أعم تتمثل في فهم المعنى، وإزالة ما يعرض من اللبس والإبهام في الكتاب العزيز[٣] .

هذا وقد نص على سبب نزول الآية الأولى كما ذكره السيوطي كثير من المفسرين[٤] وأما سبب نزول الآية التي بعدها فقد نص عليه جمهور المفسرين[٥]

---

(١) تفسير المنار ٤٦/٢.

(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني ص١٠٦–١٠٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم د/محمد أبو شهبة ص١٣٢–١٣٣.

(٣) ينظر: البرهان للزركشي ٢٢/١، الإتقان للسيوطي ٨٧/١–٨٩، المدخل لدراسة القرآن د/أبو شهبة ص١٣٦–١٤٣.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي ٢٦٢/٤، تفسير البغوي ١٩٤/١، زاد المسير ١٢٨/١، تفسير الخازن ٩٨/١، البحر المحيط ٧٤/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٥/٣، تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٢/١، تفسير الثعلب ٢٦٣/٤–٢٦٤، تفسير الهداية ٥٣٤/١، التفسير البسيط ٤٥٢/٣، تفسير البغوي ١٩٥/١، زاد المسير ٣٦٠/١، تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٥٣/٤، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط(٣) ١٤٢٠هـ، تفسير القرطبي ١٩١/٢، البحر المحيط ٧٧/٢، تفسير ابن كثير ٤٧٦/١.

وسجلتهما –وغيرهما أيضًا– كتب أسباب النزول[١] .

ومِن تعقّبه أيضا قوله: (فهو إن صح رواية لا يزيدنا بيانًا في فهم الآية، ولا يصح أن يجعل سببًا لنزولها؛ لا سيما بعد الذي علم من اتصالها بما قبلها) والإمام محمد عبده محق في شكّه في صحة هاتين الروايتين؛ فحديث: (صف أو انسب لنا ربك) موضوع[٢] أو ضعيف[٣] ولكن قوله: (لا يزيدنا بيانًا) يُعترض عليه بأن سبب النزول له فوائد عديدة، وقد ذكر البحث أهمها في التمهيد، بالإضافة إلى أن قضية التوحيد، وهي المقصد الأول من الدين –كما ذكر الأستاذ الإمام– قد اكتنفها كثير من الأحداث النبوية؛ مما يجعل آياتها موئلًا لأسباب النزول.

أما قوله: (بأنه لا يصح أن يجعل سببًا للنزول لاتصال الآية بما قبلها) فقد سبق التنبيه على أن سبب النزول لا يقطع الاتصال بين الآيات؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، والسبب قد يكون معينًا على التماس الصلة بين الآيات كما هنا؛ فهم لما قالوا انسب لنا ربك ونزل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] قالوا: وما الدليل على ذلك؟ فنزلت الآية التي بعدها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] على أن القرآن الكريم –في سياقه العام– طالما استدل بالآيات الكونية على أنه الرب المنعم القوي القادر لإقناع كفار قريش وغيرهم، بأنه الإله الواحد المستحق للعبادة دون غيره.

ثم تعقب السبب الثاني وهو (أنه لما نزلت الآية الأولى عجبوا كيف يسع الخلق إله واحد فطلبوا الدليل على ذلك) بأن هؤلاء كأنهم لم يكونوا قد سمعوا عليه دليلًا، وكأن هذه الدعوة لم تكن طرأت على أذهانهم، مع أن معظم ما نزل بمكة آيات وبراهين على التوحيد، فكيف نسلم أن ما نراه في التنزيل المدني من آيتين متصلتين، قد كان من الفصل بينهما أن نزل الدليل بعد المدلول بزمن طويل وسبب متأخر؟![٤] .

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٤٧–٤٨، العجاب لابن حجر ١/٤١٣–٤١٥، لباب النقول للسيوطي ص٢٧، إرشاد الرحمن ص٦٨–٦٩، تسهيل الوصول ص٣٧، الاستيعاب ١/٩٠–٩٢، الصحيح من أسباب النزول ص٣٧–٣٨، الجامع ص٦١–٦٢.

(٢) ينظر: الاستيعاب ١/٩٠.

(٣) ينظر: الجامع ص٦١، ح/١.

(٤) ينظر: السابق ذاته.

والأستاذ الإمام على صواب كبير في ذلك؛ ولا سيما إذا عُلم أن هذا الحديث ضعيف؛ كما في الاستيعاب، بالإضافة إلى أن روايات أسباب النزول الأخرى لهاتين الآيتين حكم عليها بالضعف أيضًا[١] ومن ثم فالبحث يتفق مع ما ذكره صاحب تفسير المنار هنا، إلا في ادعائه أن سبب النزول قاطع لاتصال الآيتين ببعضهما.

٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]

قال صاحب تفسير المنار: "ذكر (الجلال) أن الآية الأولى نزلت فيمن حرم السوائب ونحوها، ولكنه لم يذكر ذلك في أسباب النزول، وقد كان هذا في طوائف من العرب كمدلج وبني صعصعة، وقال الأستاذ الإمام: لو صح أن الآية نزلت في ذلك، لما كان مقتضيًا فصل الآية مما قبلها، وجعلها كلامًا مستأنفًا؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، على أن الظاهر من السياق أن الكلام متصل بما قبله أتم الاتصال"[٢] ثم شرع في ذكر المناسبة بين هذه الآيات والآيات السابقة.

ما زال الإمام محمد عبده –وكذلك تلميذه محمد رشيد رضا– في نفسه شيء من إيراد سبب النزول، من حيث قطع الاتصال بين الآيات وذهاب المناسبة، فبعدما اعترف – على مذهب الجمهور– أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، رجع فذكر أن الظاهر من السياق أن الكلام متصل بما قبله أتم الاتصال، ثم شرع في بيان هذا الاتصال بذكر المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها، خاتمًا كلامه بقوله: (فالكلام متمم لما قبله قطعًا)[٣] وهو ما يفسر لك تعقبه الجلال هنا في أن آية **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]** نزلت فيمن حرم السوائب ونحوها[٤] وأنه لم يذكر ذلك في كتابه لباب النقول.

---

(١) ينظر: الاستيعاب ١/٩١-٩٢.

(٢) تفسير المنار ٢/٧٠.

(٣) السابق ٢/٧١.

(٤) ينظر: تفسير الجلالين ص٣٤.

وقد صرح بسبب النزول هذا كثير من المفسرين[١] كما سجلته بعض مصادره الأصلية[٢] وفي الاستيعاب[٣] أنه ضعيف جدًا. لكن إن ثبت ضعف سنده فمتنه صحيح؛ بدليل السياق الداخلي الخاص، والقرآني العام؛ فهؤلاء الكافرون قد بارزوا الله بالشرك في كثير من معالم حياتهم من مأكل وملبس ومشرب وغيرها، وقد حكى القرآن ذلك عنهم في كثير من آياته؛ كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣] وقوله: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٨-١٤٠] ومن ثم فالمراد بالآية التي معنا تحذير المشركين من مغبة ما هم عليه من شرك في أنعامهم التي يأكلون منها؛ لذا أمر الله المؤمنين بعدها بالأكل من طيبات ما أحل لهم، واجتناب ما حرمه عليهم؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٢-١٧٤] فهذا ما حرمه الله لا ما ابتدعه المشركون من تحريم البحائر والسوائب والوصائل وغيرها، اتباعًا لأهوائهم وآبائهم، كما أن مجيء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٣/٣٦-٤٢، تفسير الماتريدي ١/٦١٧، تفسير الماوردي: النكت والعيون ١/٢٢٠، تح/السيد بن عبد المقصود، ط/دار الكتب العلمية، بيروت، التفسير البسيط ٣/٤٨٢، تفسير البغوي ١/١٩٨، زاد المسير ١/١٣١، تفسير القرطبي ٢/٢٠٧، البحر المحيط ٢/٩٩، تفسير ابن كثير ١/٤٧٨.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٤٨، العجاب لابن حجر ١/٤١٦-٤١٧، إرشاد الرحمن ص٦٩، تسهيل الوصول ص٣٧، الاستيعاب ١/٩٤، الجامع ص٦٢، جامع النقول ص١٨٨.

(٣) ينظر: ١/٩٤.

﴿ءَابَآءَنَآ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١] بعد الآية التي معنا، يرشح هذا المعنى أيضًا؛ لمجيء مشابهتها بعد آية: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ...﴾ [المائدة: ١٠٣]

ومن ثم فلا حرج على السيوطي في إيراد هذا السبب تبيانًا بين يدي هذه الآيات، مع التنبيه على ضعف سندها، ولا يقدح ذلك في اتصال الآيات ومناسبتها لما قبلها. والإمام محمد عبده محق في الشك في صحته، لكنه غير محق في هذا الخاطر الذي يراوده كثيرًا بصدد أسباب النزول، وعلاقتها بعلم المناسبات.

ومن قبله وقعت الشبهة في ذلك عند بعض العلماء؛ كالإمام العز بن عبد السلام؛ حيث قال: "المناسبة علم حسن؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"[1].

وقد تناول العلماء الرد على هذه الشبهة بأنه: "قد وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا"[2] يعني أن أسباب التنزيل تحكي الوقائع المتفرقة للقرآن المنزل وعلم المناسبات يحكي أسرار الترتيب على حسب الحكمة في القرآن المكتوب، فلا تعارض بين الأمرين؛ لأن أسباب النزول تساعد على التماس الصلة بين الآيات، لا قطعها.

٦- **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]**

قال صاحب تفسير المنار: "جعل المفسر (الجلال) كغيره الخطاب هنا لقريش خاصة، إذ ورد في حديث عائشة عند الشيخين: (أن قريشا ومن دان دينهم -وهم الحُمْس- كانوا يقفون في الجاهلية بمزدلفة؛ ترفعًا عن الوقوف مع العرب في عرفات، فأمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها) أي إبطالًا لما كانت عليه قريش، فالمراد بهذه الإفاضة: الدفع من عرفات كالأولى قال: و(ثم) للترتيب في الذكر.

---

(١) البرهان للزركشي ٣٧/١، وينظر: الإتقان للسيوطي ٣٧٠/٣.

(٢) السابق ذاته.

وأنكر الأستاذ الإمام هذا؛ لأن الأسلوب ينافيه، وذلك أن الخطاب في الآيات كلها عام ... والمتبادر أن المراد بالإفاضة هنا الدفع من مزدلفة؛ لأنه ذكر الدفع من عرفات في خطاب المؤمنين كافة، وهو لا يكون إلا بعد الوقوف، فعلم أنهم سواء في الوقوف بعرفات وفي الإفاضة منها إلى مزدلفة، وبعد أن أمرهم بما يتوقع أن يغفلوا عنه فيها عند المشعر الحرام منها، ذكر الإفاضة منها.

وقوله: (ثم) يفيد أن الإفاضة من مزدلفة يجب أن تكون مرتبة على الإفاضة من عرفات ومتأخرة عنها، ففيه تأكيد إبطال تلك العادة، وقوله: (من حيث أفاض الناس) يشعر بأنه لا معنى للامتياز في الموقف ترفعًا عن الناس، إذ كانوا بعد ذلك يتساوون في الإفاضة، فإن غير قريش من العرب كانوا يفيضون من المزدلفة أيضًا، فالآية تتضمن إبطال ما كانت عليه قريش مع كون المراد بالإفاضة فيها الدفع من مزدلفة، ولعل هذا هو المراد من الأثر، وأنه روي بالمعنى"[١] .

ذكر السيوطي في تفسير الجلالين[٢] أن المخاطب في قوله تعالى: {ثم أفيضوا} هم قريش؛ حيث كانوا يقفون بالمزدلفة ترفعًا عن الوقوف معهم، مشيرًا بذلك إلى سبب النزول، وهو في ذلك تابع لجمهور المفسرين، الذين احتجوا بسبب النزول المتفق على صحته[٣] لذا كان هذا رأي أهل الأحاديث والسير أيضًا[٤] وبادر أصحاب كتب

---

(١) تفسير المنار ١٨٧/٢-١٨٨.

(٢) ينظر: ص٤٢.

(٣) ينظر: تفسير الإمام الشافعي ٣٢١/١، جمع وتحقيق ودراسة/ د. أحمد الفران، دار التدمرية بالسعودية، ط(١) ١٤٢٧هـ، تفسير الطبري ٥٢٤/٣-٥٣٠، معاني القرآن للزجاج ٢٧٣/١، أحكام القرآن للطحاوي ١٧٢/٢-١٧٣، تفسير ابن أبي حاتم ٣٥٤/٢، تفسير الماتريدي ٩٥/٢، أحكام القرآن لبكر بن العلاء ٢٠١/١، تفسير الهداية لمكي ٦٦٦/١، التفسير البسيط ٥٣/٤، زاد المسير ١٦٦/١، البحر المحيط ٣٠٠/٢، تفسير ابن كثير ٥٥٥/١-٥٥٦.

(٤) ينظر: سيرة ابن إسحاق ص٩٧-١١٠، مسند أبي داود ٧٩/٣، سيرة ابن هشام ٢٠٢/١-٢٠٣، صحيح البخاري ١٦٣/٢، رقم (١٦٦٥) ٢٧/٦-٢٨، رقم (٤٥٢٠-٤٥٢١) صحيح مسلم ٨٩٣/٢-٨٩٤، رقم (١٢١٩) شرح مشكل الآثار للطحاوي ٢٣٧/٣.

أسباب التنزيل بتسجيل هذا السبب[١] وأما الرأي الآخر المخالف للإجماع فهو رأي الضحاك؛ حيث ذهب إلى أن المخاطب في قوله تعالى: {ثم أفيضوا} المسلمون كلهم، والمعنيّ بقوله: {من حيث أفاض الناس} من جَمْع أي المزدلفة، وبـ{الناس} إبراهيم عليه السلام[٢] .

وكان هذا الرأي المخالف للإجماع وللحديث الصحيح، هو رأي الإمام محمد عبده، الذي بدا تابعًا للكيا الهراسي؛ حيث ذهب في أحكام القرآن[٣] إلى أن رأي الضحاك أقوى من حيث دلالة النظم؛ لأن الله ذكر الإفاضة من عرفات، ثم أردفها بقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ و(ثم) للترتيب لا محالة، فعلمنا أن المراد بالإفاضة هنا الإفاضة من المشعر الحرام من المزدلفة، فهي التي بعد الإفاضة من عرفات، فهذا أولى من أن المراد بها الإفاضة من عرفة؛ لأنه لا وجه لإعادتها، فذكر الإفاضة إذا تقدم وعقب بعده بنسك آخر يقتضي الإفاضة، فلا يحسن أن يذكر بكلمة (ثم) ما يرجع على الإفاضة الأولى، دون أن يرجع إلى الإفاضة التي بعدها.

ومشى على ذلك صاحب تفسير المنار، وزاد عليه محاولة الجمع بين رواية سبب النزول ومعنى الآية، فذكر أن هذه الآية ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ تتضمن إبطال ما كانت عليه قريش، مع كون المراد بالإفاضة الدفع من مزدلفة، ثم قال:

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٦٤، العجاب لابن حجر ٥٠٥/١-٥١٠، لباب النقول ص٣٦، إرشاد الرحمن ص٧٦، تسهيل الوصول ص٤٦-٤٧، الصحيح المسند للوادعي ص٣٧، الاستيعاب ١٣٩/١، صحيح أسباب النزول ص٣٨، الصحيح من أسباب النزول ص٥٨-٥٩، جامع النقول ص٨٠-٨١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥٣٠/٣-٥٣١، أحكام القرآن للجصاص ٣٨٧/١، تفسير الثعلبي ١١٢/٢، تفسير الماوردي ٢٦١/١، تفسير البغوي ٢٥٦/١، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٧٥/١، تح/عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ط(١) ١٤٢٢هـ، تفسير الرازي ٣٣٠/٥-٣٣٢، البحر المحيط ٣٠٠/٢-٣٠٢، تفسير ابن كثير ٥٥٥/١-٥٥٦.

(٣) ينظر: ١١٥/١-١١٧.

(ولعل هذا هو المراد من الأثر وأنه روي بالمعنى)[١] وهذا مسلك خطير من صاحبي التفسير؛ إذ لجآ إلى الطعن في الرواية، في سبيل تأكيد ما أداه إليه عقلهما، فواعجبًا كيف صدرا توجيه النقل بـ(لعل) ليسلم لهما ما عقلاه؟!

على أن ما وقع في خاطرهما وقع أيضًا عند كثير من جمهور المفسرين، لكنهم قدموا النقل على العقل؛ فشنفوا الآذان بمثل قولهم: "فلولا الإجماع وتظاهر الأخبار من أهل التأويل لكان قول الضحاك أولى لمناسباته لنظم الآية"[٢] وقولهم: (وظاهر الآية يقتضي أن الإفاضة الأولى من عرفات والثانية من المزدلفة، غير أنا وجدنا أهل العلم تأولوا ذلك على إفاضة واحدة، وكانت هذه الآية من المحكم المتفق على المراد به)[٣] وقولهم في حديث سبب النزول: "وهذا نص صريح ومثله كثير صحيح، فلا معول على غيره من الأقوال"[٤] .

أما إشكالية (ثم) في الآية، فقد أزالها النحاس بجوابين[٥] :

الأول: أن (ثم) بمعنى الواو؛ كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾**﴾ **[يونس: ٤٦]** أي والله شهيد.

الثاني –وهو المختار– أن (ثم) على بابها، والمعنى: ثم أمرتكم بالإفاضة من عرفات، وفيه معنى التوكيد، فـ(ثم) في الآية مثل ما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ**﴾ **[الأنعام: ١٥٤]** ويقال: فلان كريم ثم إنه يتفقدنا؛ أي ثم أزيدك في خبره.

وهذا الجواب يتفق مع ما أداه إليه النظر في بحث آخر من أن (ثم) ليس الأصل في معناها الترتيب على ما هو شائع؛ كما في كلام الكيا الهراسي السابق، بل الأصل فيها –كما ظهر من مأخذها الاشتقاقي– أن تدل على العطف بين شيئين مختلفين في فعلهما تمييزًا بينهما، وهذا لا يقتضي تشريكًا أو ترتيبًا، وقد صرح بذلك الخليل

---

(١) ينظر: تفسير المنار ١٨٨/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥٣١/٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للطحاوي ١٧٢/٢-١٧٣.

(٤) تفسير القرطبي ٤٢٨/٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ١٣٩/١-١٤٠، تح/محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ط(١) ١٤٠٩هـ

فقال: "و(ثم) حرف من حروف النسق لا تشرك ما قبلها بما بعدها، إلا أنها تبين الآخر من الأول"[1]

ومن ثم فلا معوّل على إنكار صاحب تفسير المنار هنا لرأي الجلال السيوطي، الذي استند على رواية سبب النزول المتفق على صحتها، وهي بمثابة تفسير نبوي للآية، ولا يجوز لأي مفسر أن يقدم رأيًا على رأي رسول الله ﷺ ما دام قد صح النقل عنه، ولا يوجد تعارض بين المنقول عنه ﷺ والنص القرآني، لذا فهو الرأي الصواب الذي لا يجوز غيره.

٧- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ ... ۝٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ٢١٧-٢١٨]

ذكر السيوطي خبر سريّة عبد الله بن جحش، ونزول قوله تعالى: **﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ ﴾ [البقرة: ٢١٧]** في كتابه لباب النقول[2] وفيه: "أن رسول الله ﷺ بعث رهطًا، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادي، فقال المشركون للمسلمين قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه} الآية، فقال بعضهم إن لم يكونوا أصابوا وزرًا فليس لهم أجر، فأنزل الله: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨ ﴾ [البقرة: ٢١٨]**" وسار على ذلك في التفسير.

---

(1) ينظر: المقاييس الدلالية لأدوات المعاني دراسة تأثيلية (من الهمزة إلى الحاء) للباحث ذاته، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ع/٣٧، ١٤٤٣هـ، ونص الخليل بن أحمد في العين (ثم) ٢١٨/٨، تح/مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط/دار ومكتبة الهلال.

(2) ص ٣٩.

ونص على هذين السببين جمهور المفسرين[١] وسجلتهما مصادر أسباب النزول[٢] لكن الإمام محمد عبده تعقب ما أورده السيوطي هنا قائلًا: "إن كلامه يفيد أن الآيات نزلت متفرقة، والصواب أن الآيات الثلاث نزلت في قصة واحدة مرة واحدة"[٣] .

ويرى البحث أن سبب النزول الذي أورده السيوطي لم يمزق السياق الداخلي، بل جعله كاللحمة الواحدة في معناها وغرضها الذي سيقت من أجله الآيات الثلاث من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨-٢١٩] وهو الحث على القتال، ووجوب القيام به عند وجود أسبابه، وجزاء ذلك من المغفرة والرحمة.

أما عن نزولها متفرقة فلا شيء في ذلك، بل هو الذي يجري على سنن القرآن؛ حيث كان ينزل منجمًا على حسب الوقائع والأحداث والحكمة الباعثة، والأستاذ الإمام لم يقدم دليلًا على نزولها مرة واحدة، فربما نزلت متفرقة؛ فقد كانت تنزل الآية أو بعض الآية على رسول الله ﷺ ثم يأمر بوضعها في السورة المعينة في الموضع المحدد؛ كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] حيث جاء في

---

(١) ينظر السبب الأول في: تفسير مجاهد ص٢٣١-٢٣٢، تح/محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة بمصر، ط(١) ١٤١٠هـ، تفسير الطبري ٦٥٠/٣، تفسير الثعلبي ٤٠٨/٥-٤١٥، تفسير الهداية ٧٠٩/١-٧١١، تفسير الماوردي ٢٧٤/١-٢٧٥، التفسير البسيط ١٣٧/٤، تفسير البغوي ٢٤٦/١-٢٤٨، تفسير ابن كثير ٥٧٣/١-٥٧٦. وينظر السبب الثاني في: تفسير الطبري ٦٦٨/٣، تفسير ابن أبي حاتم ٣٨٨/٢، تفسير الثعلبي ١٤١/٢، تفسير البغوي ٢٧٦/١، زاد المسير ١٨٣/١، تفسير الرازي ٣٩٤/٦، تفسير القرطبي ٤٩/٣، البحر المحيط ٣٩٤/٢، تفسير ابن كثير ٥٧٧/١.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٦٨-٧١، العجاب ٥٣٧/١-٥٤٤، لباب النقول للسيوطي ص٣٩، إرشاد الرحمن ص٧٩-٨٢، تسهيل الوصول ص٥٠-٥١، الاستيعاب ١٥٠/١-١٥٩، الصحيح من أسباب النزول ص٦٣، صحيح أسباب النزول ص٤٠-٤١، الجامع ص٨٧-٨٨.

(٣) تفسير المنار ٢٤٨/٢.

الصحيحين[1] عن أبي إسحاق قال: "سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رضي الله عنه يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا فَجَاءَ بِكَتِفٍ فَكَتَبَهَا، وَشَكَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾" ومن ثم فالبحث لا يتفق مع صاحب المنار في تعقبه هنا.

٨- قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]

في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أورد صاحب تفسير المنار رأي من قال: إن هذه الأمة جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسيد بن سعيد مستندين إلى رواية ابن عباس في ذلك، ولكنه كرّ عليه بالنقد، فذكر أن ذلك لا ينطبق عليهم في حال الإسلام، وأن الروايات الواردة في ذلك اختلط بعضها ببعض، وأن ذلك الوصف لهم قبل الإسلام.

ثم تعقب رأي الجلال في ذلك فقال: "وظاهر أن هذا كالذي قبله في أهل الكتاب حال كونهم على دينهم، خلافا لمفسرنا (الجلال) وغيره، الذين حملوا المدح على من أسلم منهم، فإن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم أهل الكتاب، وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين"[2] .

وقد أورد السيوطي رواية ابن عباس التي استند عليها في التفسير في لباب النقول[3] فقال: "عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلّام، وثعلبة بن سَعْية، وأُسَيْد بن سَعْية، وأسد بن عبد، ومَن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ..﴾ الآية [آل عمران: ١١٣]" وهو في ذلك ليس بدعًا من المفسرين قبله؛ فقد احتج جمهور المفسرين بهذه الرواية على أن المراد بالأمة في الآية هم من

---

(١) صحيح البخاري ٤/٢٤-٢٥ رقم(٢٨٣١) وصحيح مسلم ٦/٤٣ رقم (١٨٩٨).

(٢) تفسير المنار ٤/٥٨-٥٩.

(٣) ينظر: ٥٥-٥٦.

أسلم من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره[١] وهي مدونة في المصادر الأصيلة لأسباب النزول[٢].

وظاهر الآيات يرجح ما ذهب إليه الجلال تبعًا للجمهور؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣] يشير إلى حال الفريقين اللذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠] فليس هؤلاء سواء؛ المؤمنون منهم والكافرون، ثم وصف الفرقة المؤمنة بالإيمان، وتلاوة القرآن، والصلاة، وهذه الخصال من شعائر الإسلام[٣].

وصرح ابن عطية بأن هذا أصح التأويلات[٤] كما حكى ابن العربي اتفاق المفسرين على أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب[٥] وإطلاق (أهل الكتاب) عليهم مجاز باعتبار ما كان كقوله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ [النساء: ٢][٦] فكيف يكون المراد بالأمة فيمن ظل من أهل الكتاب على دينه؛ كما ذهب صاحب تفسير المنار، ومن ثم فتعقُّبه السيوطي بأن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم (أهل الكتاب) مردودٌ عليه، والبحث يتفق مع ما ذكره السيوطي تبعًا لرأي الجمهور.

٩- **قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٦٩١/٥-٦٩٢، أحكام القرآن للجصاص ٤٥/٢، تفسير الثعلبي ١٣٠/٣، تفسير الهداية ١٠٩٩/٢-١١٠٠، تفسير الماوردي ٤١٧/١، التفسير البسيط ٥١٧/٥-٥١٨، تفسير البغوي ٤٩٦/١، زاد المسير ٣١٦/١، تفسير القرطبي ١٧٥/٤، البحر المحيط ٣٠٨/٣، تفسير ابن كثير ١٠٥/٢.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١١٩، العجاب ٧٣٥/٢-٧٣٦، إرشاد الرحمن ص١٦٠-١٦١، تسهيل الوصول ص٧٩، الصحيح المسند للوادعي ص٤٧، الاستيعاب ٢٨٦/١، الصحيح من أسباب النزول ص٩٢، صحيح أسباب النزول ص٦٣، جامع النقول ص٣٨١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٦٨٩/٥، أحكام القرآن لابن العربي ٣٨٦/١.

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية ٤٩٢/١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣٨٦/١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ٥٧/٤.

ذكر السيوطي في سبب نزولها ما رواه النسائي عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ صلوا عليه، قالوا يا رسول الله: نصلي على عبد حبشي، فأنزل الله الآية[١]

فقال صاحب تفسير المنار متعقبًا هذا السبب: "ونقول: إنها تشمل النجاشي، وغيره من اليهود، والنصارى الذين صدق عليهم ما فيها من الصفات.. إلخ" ثم نقل عن الرازي عدة روايات مختلفة في سبب نزولها، وترجيحه رواية مجاهد؛ أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم[٢] بما يتوافق مع رأيه الذي تعقب به السيوطي أولًا.

هذا وقد نص على هذه الروايات في سبب نزول الآية كثير من المفسرين[٣] وأصحاب كتب أسباب النزول[٤] علمًا بأن جل هذه الروايات محكوم عليها بالضعف[٥]، لكنها في مجموعها تدل على أن الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب، وليست في النجاشي وحده؛ لذا نقل صاحب تفسير المنار عن الرازي ترجيحه لرواية مجاهد من أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم، متخذًا من السياق الداخلي دليلًا على ذلك، وهو أنه سبحانه لما ذكر مصير الكفار إلى العقاب، بيّن أن مصير من آمن منهم إلى الثواب[٦].

---

(١) ينظر: لباب النقول ص٦٤.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٤/٢٥٨-٢٥٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٦/٣٢٧-٣٣٠، تفسير ابن المنذر ٢/٥٤٢، تفسير الماتريدي ٢/٥٦٦-٥٦٧، تفسير الثعلبي ٣/٢٣٧-٢٣٨، تفسير الماوردي ١/٤٤٤-٤٤٥، التفسير البسيط ٦/٢٧١-٢٧٢، تفسير البغوي ١/٥٥٩، التيسير في التفسير ٤/٤٠٥-٤٠٦، الكشاف ١/٤٥٩، زاد المسير ١/٣٦٣-٣٦٤، البحر المحيط ٣/٤٨٤، تفسير ابن كثير ٢/١٩٤-١٩٥.

(٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٣٩-١٤٠، العجاب ٢/٨١٨-٨٢٢، الصحيح المسند ص٦٠-٦٢، إرشاد الرحمن ص١٧٦-١٧٧، الاستيعاب ١/٣٥٢-٣٥٧، المحرر ص٣٥٥، جامع النقول ص٤٣٢-٤٣٣، الجامع ص١٦٣-١٦٤.

(٥) ينظر: الاستيعاب ١/٣٥٧.

(٦) ينظر: تفسير الرازي ٩/٤٧٣.

وقد رجح ذلك من قبله الطبري[١] بدليل سياق الآية أيضًا؛ المتمثل في أن الله عم أهل الكتاب جميعًا بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] فلم يخصص منهم اليهود دون النصارى ولا النصارى دون اليهود. ثم ذكر أن في رواية السيوطي ضعفًا، ولو صحت فهي لا تتعارض مع ما سبق؛ لأن الآية قد تنزل في الشيء الخاص، ثم يعم بها كل من كان في معناه، فالآية وإن كانت في النجاشي فالحكم الذي ثبت له يجري على من كان في صفته من اتباع دين الإسلام وترك سائر الملل.

فالآيات من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩-٢٠٠] تتحدث عن طائفتين من أهل الكتاب، إحداهما: زاغت قلوبهم عن الحق واطمأنت بالدنيا فمأواهم النار، والأخرى: عرفت الحق فاتبعته مؤثرة طاعة الله ورسوله على متاع الدنيا فهي إلى الجنة، ومن هؤلاء النجاشي، وعبد الله بن سلام وأصحابه، وغيرهم ممن كان على هذه الصفة.

ومن ثم فالبحث يسلم بما ذهب إليه صاحب تفسير المنار هنا متبعًا ترجيح الرازي، ومن قبله الطبري.

تعقيب:

من خلال تحليل نماذج هذا المطلب يلاحظ ما يأتي:

١. أسباب النزول تعين على فهم الآيات، وتزيل الإشكال عن معاني بعض الكلمات، فلا غرو أن كانت محل اهتمام كل من نظر في كتاب الله باختلاف مجالاتهم، ولا تتوقف أهميتها على آيات الأحكام وبعض الوقائع، دون آيات التوحيد؛ كما ذهب صاحب تفسير المنار في آية ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]

٢. قد يتعلق سبب النزول بآية أو أكثر، وقد يتعلق بجزء آية، ولا حجة لما تبناه صاحب تفسير المنار من أن تعلقه بالآية أو بجزء الآية مما يجعل القرآن عضين متفرقة؛ كما في آية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٦/٣٣٠.

٣. ظهر تأثر صاحب تفسير المنار ببعض المفسرين، والمتكلمين في علوم القرآن من قبله؛ من أمثال العز بن عبد السلام، والكيا الهراسي.

٤. إذا قال صاحب تفسير المنار: (قال الجلال) فإنما ينقُل عنه من تفسيره (الجلالين) لكن إذا نقل عنه من لباب النقول، أو الدر المنثور، ذكره بـ(السيوطي).

٥. يتردد كثيرًا في تعقب الأستاذ الإمام وتلميذه الشيخ رشيد رضا حيال روايات أسباب النزول عند السيوطي، أنها لا تقتضي التخصيص، وكأن إيراد السبب مفضٍ حتمًا إلى تخصيص المعنى، وتفكيك النص، مع أن جمهور العلماء –ومنهم السيوطي– أعلنوا منذ البداية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٦. ورد أيضًا في تعقبات تفسير المنار ما يوهم وجود تعارض بين أسباب النزول والمناسبة بين الآيات؛ كما في آية ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٩] والعكس هو الصحيح؛ أي أن أسباب النزول تعين على إدراك المناسبة بين الآيات، ولا تقطع الاتصال بينها، وهذه شبهة قديمة وقعت عند (العز بن عبد السلام) أيضًا، وقد تولى العلماء الرد عليها؛ بأن الآيات على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا، فلا تعارض بينهما.

٧. وقع صاحب تفسير المنار في أمر جد خطير؛ إذ لجأ إلى الطعن في رواية سبب النزول المتفق على صحتها، من أجل أن يسلم له ما أدّاه إليه عقله، مقدمًا العقل على النقل، دون برهان ساطع مقنع، وفي مخالفة صريحة لما عليه جمهور العلماء؛ كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

المطلب الثاني: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في ضعف السند والمتن أو أحدهما

١- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

ذكر الجلال سبب نزولها مختصرًا فقال: "نزل ردًا على اليهود والنصارى حين زعموا ذلك"(١) . وأخرجه بسنده في لباب النقول(٢) .

فتعقبه صاحب تفسير المنار فقال: "ادعى (الجلال) أن هذه الآية نزلت للرد على النصارى الذين يولون وجوههم في صلاتهم قبل المشرق، واليهود الذين يولونها قبل بيت المقدس، وهذا ادّعاء لم يثبت، والصحيح قريب منه، وهو أن أهل الكتاب أكبروا أمر تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، كما تقدم في آيات التحويل وحكمه، وطال خوضهم فيها حتى شغلوا المسلمين بها، وغلا كل فريق في التمسك بما هو عليه وتنقيص مقابله، كما هو شأن البشر في كل خلاف يثير الجدل والنزاع، فكان أهل الكتاب يرون أن الصلاة إلى غير قبلتهم لا تقبل عند الله تعالى، ولا يكون صاحبها على دين الأنبياء، والمسلمون يرون أن الصلاة إلى المسجد الحرام هي كل شيء"(٣) .

فصاحب التفسير نقد إيراد السيوطي سبب النزول مصدرًا له بالادعاء، ومردفًا إياه بأنه ادعاء لم يثبت، مع أنه لم يعدُ ما ذكره جمهور المفسرين(٤) وتناولته كتب أسباب النزول(٥)

---

(١) تفسير الجلالين ص٣٦.

(٢) ينظر: ص٢٨.

(٣) تفسير المنار ٨٩/٢.

(٤) تفسير عبد الرزاق ٣٠٢/١، تح/ د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٩هـ، تفسير الطبري ٧٥/٣-٧٦، تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٧/١، أحكام القرآن للجصاص ١٥٩/١، تفسير الثعلبي ٤٩/٢، تفسير الهداية ٥٥٧/١، تفسير الماوردي ٢٢٥/١، التفسير البسيط ٢٨٠/١، تفسير البغوي ٢٠٣/١، تفسير الرازي ٢١٣/٥، تفسير القرطبي ٢٣٧/٢-٢٣٨، البحر المحيط ١٣٠/٢.

(٥) ينظر: العجاب ٤٢١/١-٤٢٢، إرشاد الرحمن ص٧٠، الاستيعاب ٩٦/١، جامع النقول ص١٩٣، الجامع ص٦٣.

ثم ذكر سبب النزول الذي يراه صحيحًا، وهو أن الخوض في تحويل القبلة لم يكن من اليهود والنصارى، وإنما كان بين أهل الكتاب والمسلمين، حين غلا كل فريق بما هو عليه، فبيّن الله لهم أصول البر ومقاصد الدين. وقد أشار إلى هذا بعض المفسرين مصدرين له بـ(قيل) بعد ذكر السبب السابق؛ مما يدل على أنه المرجوح وليس الراجح؛ فها هو الزمخشري يقول بعد ذكر السبب الأول: "وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة ..إلخ"[1].

والسياق الداخلي يرجح ما ذكره السيوطي تبعًا للجمهور؛ لأن هذه الآية التي تنعى على أهل الكتاب تمسكهم بقبلتهم قد سبقت بالحديث عن أهل الكتاب ببيان صفاتهم الذميمة؛ من كتمان ما أنزل الله، واشترائهم به ثمنًا قليلًا، وما أُعد لهم من عذاب أليم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٦] ثم نص على اختلافهم في الكتاب فقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦]

ومن اختلافهم في القرآن إلى اختلافهم في أمر القبلة في الآية محل البحث، وفيها أخبرهم الله أن ليس البر أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق، وبعضكم قبل المغرب، ولكن البر بر من آمن .. إلخ، وهذا ما صرح به الطبري، وتبعه مَن وراءه[2] .

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٢١٧/١-٢١٨، تح/مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، ط(٣) ١٤٠٧هـ، وينظر: البحر المحيط ١٣٠/٢، تفسير ابن كثير ٤٨٥/١، التحرير والتنوير ١٢٨/٢.

(2) ينظر: تفسير الطبري ٧٦/٣-٧٧، البحر المحيط ١٣٠/٢، تفسير ابن كثير ٤٨٥/١، التحرير والتنوير ١٢٨/٢.

ومن ثم فصاحب تفسير المنار غير محق فيما رمى به السيوطي من الادعاء، ومن تصويب غير روايته، ولو قال: هناك من يقول بأن الخوض في أمر القبلة كان بين أهل الكتاب والمسلمين، وهذا ما أرجحه بدليل كذا، ولم يرم السيوطي بالادعاء – لكان رأيًا!!

٢- **قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ [النساء: ٤٩]**

قال السيوطي في سبب نزولها: "أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، يزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، وغيرهم"[١] .

ويبدو أن صاحب التفسير لم يطمئن إلى ما رواه السيوطي، فطفق يعرض في سبب نزول الآية روايات الأخرى، مصرحًا بأن الطبري رجح عقب ذكره هذه الروايات أن تزكيتهم لأنفسهم وصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها ولا خطايا، وأنهم أبناء الله وأحباؤه[٢].

هذا وقد صرح بما نقله السيوطي كثير من المفسرين[٣] كما نصوا أيضًا على الروايات الأخرى التي أشار إليها صاحب التفسير عن ابن جرير الطبري[٤] وأتت مصادر أسباب التنزيل على ذكرها[٥] لكن هذه الروايات لم تسلم من الضعف[٦] .

---

(١) لباب النقول ص٧٢، وينظر نص ابن جرير في تفسيره ١٢٥/٧-١٢٦.

(٢) ينظر: تفسير المنار ١٢٣/٤، وينظر ترجيح الطبري في: تفسيره ١٢٨/٧.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ص٢٨٣، تفسير الطبري ١٢٥/٧-١٢٦، تفسير ابن المنذر ٧٤٠/٢، تفسير ابن أبي حاتم ٩٧٢/٣، تفسير الثعلبي ٣٢٦/٣، تفسير الماوردي ٤٩٥/١، تفسير البغوي ٦٤٤/١، تفسير ابن عطية ٦٥/٢، زاد المسير ٤١٨/١، تفسير القرطبي ٢٤٦/٥، البحر المحيط ٦٧٢/٣، تفسير ابن كثير ٣٣٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٢٠٤/٣، تفسير الثعلبي ٣٢٥/٣-٣٢٦، تفسير البغوي ٦٤٤/١، تفسير ابن عطية ٦٥/٢، زاد المسير ٤١٨/١، تفسير الرازي ١٠٠/١٠، تفسير القرطبي ٢٤٦/٥، البحر المحيط ٦٧٣/٣، تفسير ابن كثير ٣٣٢/٢.

(٥) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٥٥، العجاب ٨٨٣/٢-٨٨٥، إرشاد الرحمن ص٢٠٢-٢٠٣، تسهيل الوصول ص١٠٢، الاستيعاب ٤٠٣/١-٤٠٥، الصحيح من أسباب النزول ص١٢٥، جامع النقول ص٤٧٥.

(٦) ينظر: الاستيعاب ٤٠٣/١-٤٠٤.

أما رجحه الطبري عن الحسن فإسناده صحيح[١] بالإضافة إلى أنه الألصق بسياق الآية، وكذا للسياق القرآني العام؛ فهو الأنسب لمعنى الآية بتزكيتهم لأنفسهم لا تزكيتهم لأولادهم، تمهيدًا لاستعلائهم على المسلمين، واستكافهم عن اتباع دينهم الحق.

وهذا هو الشائع في السياق القرآني عامة، والمتردد ذكره في آياته؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [البقرة: ٨٠] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١] وقوله: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨] والقرآن يصدق بعضه بعضًا، ولذلك اقتصر السيوطي على هذه الرواية في تفسيره[٢] ومن ثم فالبحث يتفق مع المذكور المرجَّح هنا في تفسير المنار.

٣- **قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ...﴾ الآية [النساء: ٧].**

أورد السيوطي سبب نزولها "من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت، وترك ابنتين وابنًا صغيرًا، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة، وهما عصبة فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: ما أدري ما أقول، فنزلت: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾"[٣].

وتعقبه صاحب المنار قائلًا: "وطريق الكلبي عن أبي صالح هي أوهى الطرق عن ابن عباس وأضعفها. وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: نزلت في أم كجة، وابنة كجة، وثعلبة، وأوس بن سويد، وهم من الأنصار، كان أحدهم زوجها، والآخر عم ولدها، فقالت: يا رسول الله، توفي زوجي، وتركني وابنته فلم نورث، فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرسًا، ولا تحمل كلًّا، ولا تنكئ عدوًا، يُكسب عليها ولا تكتسب، فنزلت الآية. وروي عن قتادة وابن زيد: أنها نزلت في

---

(١) ينظر: الصحيح من أسباب النزول ص١٢٦.

(٢) ينظر: ص١٠٩.

(٣) لباب النقول ص ٦٥.

إبطال ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء –زاد ابن زيد: ولا الصغار– لم يذكروا واقعة معينة"[١] .

ورواية السيوطي ذكرها بعض المفسرين في سبب نزول الآية[٢] وسجلتها بعض كتب أسباب النزول مع الروايات الأخرى[٣] وإذا كانت هذه الرواية ضعيفة؛ لأنها من طريق الكلبي عن أبي صالح، وهي من أوهى الطرق عن ابن عباس، فإن الرواية الأخرى التي ذكرها صاحب المنار تبعًا لغيره[٤] ليست بأصح منها؛ لأنها ضعيفة جدًا[٥] على أن الروايتين بينهما خلط كبير؛ فقد أوردهما معًا في رواية واحدة متداخلة أكثر المفسرين[٦] وكذا أصحاب كتب أسباب النزول[٧] .

فكل هذه الروايات محكوم عليها بالضعف، حتى رواية أنها نزلت في إبطال ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء، مع تداخلها أيضًا[٨] ومن ثم فصاحب المنار قد وقع فيما تعقب به السيوطي من إيراد الروايات الضعيفة.

لكن إن ثبت ضعف هذه الروايات، فهي جميعًا بمتنها تتضافر في إبراز مدلول واحد، وهو عدم توريث الضعفاء من النساء واليتامى، ويعاضدها السياق الداخلي في إبداء ذلك أيضًا؛ حيث حرصت السورة في بدايتها على ذكر حقوق ذوي الأرحام، ولا

---

(١) تفسير المنار ٣٢٣/٤-٣٢٤.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي ٢٨/٣-٢٩، زاد المسير ٣٧٤/١، تفسير الرازي ٥٠٢/٩.

(٣) ينظر: العجاب ٨٣٤/٢-٨٣٦، الاستيعاب ٣٦٥/١-٣٦٨.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل١٢٨/٥، تفسير الطبري ٤٣٠/٦، تفسير ابن المنذر ٥٧٧/٢، تفسير الماتريدي ٢٨/٣- ٢٩، تفسير ابن كثير ٢١٩/٢.

(٥) ينظر: الاستيعاب ٣٦٨/١.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي ٢٦٠/٣، تفسير البغوي ٥٧١/١-٥٧٢، التيسير في التفسير ٤٤٦/٤، تفسير الكشاف ٤٧٦/١، أحكام القرآن لابن العربي ٤٢٦/١، تفسير القرطبي ٤٦/٥، تفسير البيضاوي ٦١/٢، البحر المحيط ٥١٨/٣، ٥٢٤، التحرير والتنوير ٢٤٩/٤.

(٧) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٤٤، الاستيعاب ٣٦٥/١، تسهيل الوصول ص٩٤، جامع النقول ص٤٤٦، الجامع ص١٦٧.

(٨) ينظر: الاستيعاب ٣٦٧/١.

سيما الضعفاء منهم من النساء واليتامى؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ [النساء: ١] وقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ [النساء: ٢] وقال عز من قائل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ﴾ [النساء: ٤] وقال أيضًا: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦] ثم جاءت الآية محل البحث، وفيها وما بعدها تأكيد شديد على حق الضعيفين؛ من قوله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٧] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠] وبيْن ذلك خوّف السياق مَن تسول له نفسه أكل أموال اليتامى، بأنه سيرحل يومًا ما تاركًا وراءه هذين الضعيفين، فليتق الله فيهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩-١٠].

ولهذا كان السيوطي على أَوْج فطنته عندما قدم هذه الآية في تفسيره بأنها نزلت ردًا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار، ولم ينص على واقعة معينة مما سبق، فخرج من إطار الروايات الضعيفة المشكوك فيها، إلى مدلولها الذي لا شك فيه بأحسن عبارة وأوجزها.

٤- **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]**

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية روايتين:

الأولى: من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به، فلما بسط يده إليه، قام العباس فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي! اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ: هات المفتاح يا عثمان، فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح، ثم تلا الآية.

والثانية: عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة، أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فناوله المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب -لما خرج رسول الله من الكعبة وهو يتلو

هذه الآية- فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك. ثم قال السيوطي معقبًا على هذه الرواية: ظاهر هذه أنها نزلت في جوف الكعبة[١] .

وقد نص على هذا السبب بتلك الروايتين وغيرهما كثير من المفسرين[٢] كما سجلته مصادر أسباب النزول[٣] لكن صاحب تفسير المنار تعقب السيوطي أولًا في تصريحه أن الآية نزلت في جوف الكعبة، بأن الظاهر أنها نزلت قبل فتح مكة، وأن النبي ﷺ تلاها يومئذ استشهادًا وإن لم يتذكر عمر أنه سمعها قبل ذلك.

ويتفق البحث معه في هذا التعقب؛ بدليل سياق الآيات ومدلولها كما سيأتي، وبأن سورة النساء كلها مدنية؛ كما ذهب الجمهور؛ لقول عائشة رضي الله عنها لقد نزل بمكة على محمد، وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"[٤] ولا دليل قوي على استثناء هذه الآية من مدنيتها؛ لأن الرواية الصحيحة لم تنص على أن هذه الواقعة هي سبب التنزيل[٥] .

وتعقبه -ثانيًا- في تضعيف الروايتين؛ فذكر أن أوهى طرق التفسير عن ابن عباس هي طريق الكلبي، عن أبي صالح، فإن انضم إليها مروان الصغير فهي سلسلة الكذب[٦] وهو محق في ذلك؛ لأن الكلبي متهم بالكذب[٧] وكذلك فيما ذكره في

---

(١) ينظر: لباب النقول ص٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٧٠/٧، معاني القرآن للزجاج ١٦/٢، تفسير الماتريدي ٢٢١/٣، أحكام القرآن للجصاص ٢٥٩/٢، تفسير الثعلبي ٣٣٢/٣، تفسير الهداية ١٣٦٤/٢-١٣٦٥، تفسير البسيط ٥٣٥/٦، تفسير البغوي ٦٨٤/١، تفسير الكشاف ٥٢٣/١، أحكام القرآن لابن العربي ٥٧١/١، زاد المسير ٤٢٣/١، تفسير القرطبي ٢٥٦/٥.

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي ١٥٧-١٥٨، العجاب ٨٨٩/٢، إرشاد الرحمن ص٢٠٥، تسهيل الوصول ص١٠٢، الاستيعاب ٤١٢/١، الجامع ص١٨٦، جامع النقول ص٤٨٠.

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص١١٨، تفسير ابن المنذر ٥٤٦/٢، تفسير الثعلبي ٢٤١/٣، درج الدرر ٥٦٣/٢، تفسير الكشاف ٤٦١/١، أحكام القرآن لابن العربي ٤٠/٢. والحديث في صحيح البخاري ١٨٥/٦، رقم (٤٩٩٣).

(٥) ينظر: الاستيعاب ٤١٣/١-٤١٥.

(٦) ينظر: تفسير المنار ١٣٧/٥.

(٧) ينظر: الفتح السماري ١٤٥/١.

رواية شعبة عن الحجاج، فحجاج الأسلمي مجهول[١] وحجاج الأعور خلّط في آخر حياته[٢] .

ثم تعقبه –ثالثًا– في الروايتين من جهة المعنى؛ حيث قال: "وفي الروايتين بحث من جهة المعنى أيضًا، فإن النبي ﷺ أولى بمفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، ومن كل أحد، فلو أعطاه للعباس أو غيره لم يكن فاعلًا إلا ما له الحق فيه، ومن أعطاه إياه يكون هو أهله وأحق به"[٣] ولا شك في ذلك فالنبي محمد ﷺ هو الإمام الذي يجب اتباعه وطاعة أوامره دون تردد؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، بل يوحى إليه من ربه.

ثم نقل صاحب المنار عن أستاذه الإمام قوله: "بعد ما بيّن الله تعالى لنا من شأن أهل الكتاب ما بينه . حتى تفضيلهم المشركين في الهداية على المؤمنين بالله وحده، وبجميع كتبه ورسله . أدبنا بهذا الأدب العالي، وأمرنا بالأمانة العامة، وهي الاعتراف بالحق سواء كان الحق حسيًا أو معنويًا، فقال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ **[النساء: ٥٨]** فالكلام متصل بما قبله بمناسبة قوية تجعل السياق كعقد من الجوهر متناسب اللآلئ، فسواء صح ما ذُكر من حكاية مفتاح الكعبة أو لم يصح، فإن صحته لا تضر بالتئام السياق ولا بعموم الحكم، إذ السبب الخاص لا ينافي عموم الحكم"[٤].

ولا شك في كون الكلام متصلًا بما قبله، وأن السبب الخاص لا ينافي عموم الحكم، وقد صرح به السيوطي نفسه، فذكر عقب إيراده سبب نزول هذه الآية: (أن الآية وإن وردت على سبب خاص، فعمومها معتبر بقرينة الجمع)[٥] .

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٤٦١/١.

(٢) ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٤/٣.

(٣) تفسير المنار ١٣٧/٥.

(٤) السابق ١٣٨/٥.

(٥) ينظر: تفسير الجلالين ص١١١.

لكن البحث يخالف الأستاذ الإمام في كون الآية في الأمانة العامة لسائر المكلفين، وإن مال إلى ذلك بعض المفسرين[١] ويرى أنها نزلت في ولاة الأمر خاصة؛ كما روى ذلك بعض المفسرين وغيرهم[٢] والدليل سياق الآيات وعلاقتها بما قبلها وما بعدها.

قد تأملت فيما قبلها وراجعت النظر، فوجدت أنها تتحدث عن طائفة من أهل الكتاب؛ حيث تنعى عليهم صفة الخيانة، وتسلب منهم صفة الأمانة، فهم يشترون الضلالة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويعصون الرسول، ومع ذلك يزكون أنفسهم كذبًا، ويمدحون من لا يستحق ويذمون أهل الحق، ثم إنهم يحسدون ذوي النعم، ولو ملكوا لاستبدوا وضيقوا على الناس، تجد ذلك ماثلًا في الآيات من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء: ٤٤] إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] .

فلما كشفهم الله وفضحهم بالخيانة، وعدم العدل من سادتهم، نصح الله في الآية محل البحث ولاة أمر المسلمين بالأخذ فيهم بالأمانة والحكم بالعدل، فنعمّا ما ينصحهم به؛ لإقامة مجتمع سوي متحابّ، مؤذنًا لهم بأن أساس ذلك طاعة الله ورسوله، ونبذ الفرقة والشقاق والنفاق، فبذلك تقوى شوكتهم، وتظهر دولتهم على أعدائهم، فهذا رأس الأمر وملاكه.

هذا عن السياق السابق، أما عن السياق اللاحق فيظهر من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ففيها وعظ للرعية بطاعة أولي الأمر بعد خطابه لهم بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره، وبالعدل بينهم، وذلك ما رجحه الطبري ومكي بن أبي طالب، وابن حجر[٣] .

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٢٢١/٣، أحكام القرآن للجصاص ٢٥٩/٢، البسيط ٥٣٨/٦، تفسير القرطبي ٢٥٦/٥.

(٢) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢١٧/١٨، تفسير الطبري ١٦٨/٧، تفسير ابن أبي حاتم ٩٨٦/٣، تفسير الماتريدي ٢٢١/٣، معاني القرآن للنحاس ١٢٠/٢، أحكام القرآن للجصاص ٢٥٩/٢، تفسير الهداية ١٣٦٤/٢، أحكام القرآن لابن العربي ٥٧١/١، زاد المسير ٤٢٣/١، تفسير القرطبي ٢٥٦/٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٧١/٧-١٧٢، تفسير الهداية ١٣٦٦/٢، العجاب ٨٩٣/٢-٨٩٥.

ومن ثم فالبحث يتفق مع تعقب صاحبي تفسير المنار هنا، ولا يختلف معهما إلا في المقصود بالمخاطب في الآية وفيمن نزلت؛ حيث جنحا إلى أنها نزلت في الأمانة العامة ورجح البحث أنها في أمانة ولاة الأمر من المسلمين خاصة.

٥- **قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]**

أورد السيوطي في الدر المنثور[١] في سبب نزول هذه الآية والمعنيّ بها خمس روايات: **الأولى**: عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧] في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله الآية.

والثانية: عن يعلى بن مسلم قال: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية، قال: اقرأ ما قبلها فقرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ﴾ فقال: اللغو أن تحرم هذا الذي أحل الله لك وأشباهه، تكفر عن يمينك ولا تحرمه.

والثالثة: عن سعيد بن جبير ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ قال: هو الرجل يحلف على الحلال أن يحرمه، فقال الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ أن تتركه وتكفر عن يمينه.

والرابعة: عن مجاهد ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ﴾ قال: هما الرجلان يتبايعان يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله لا أشتريه بكذا.

والخامسة: عن إبراهيم قال: اللغو أن يصل الرجل كلامه بالحلف؛ والله لتجيئن، والله لتأكلن، والله لتشربن، ونحو هذا، لا يريد به يمينًا، فهو لغو اليمين.

ثم قال صاحب المنار متعقبًا ذلك: "أورد ذلك السيوطي في الدر المنثور، وأصح منه وأظهر في تفسيره ما أورده في تفسير هذه الجملة في سورة البقرة عن مالك في الموطأ، والشافعي في الأم، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، والبيهقي في سننه، وأشهر مصنفي التفسير المأثور من حديث عائشة قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ في قول الرجل: لا والله! وبلى والله! وكلا والله!

---

(١) ينظر: ٣/١٤٩-١٥٠.

زاد ابن جرير: يصل بها كلامه، وفي رواية له ولغيره عنها: هو القوم يتداءون في الأمر، يقول لهذا: لا والله، ويقول هذا: كلا والله، يتداءون في الأمر، لا تعقد عليه قلوبهم، وفي هذا المعنى عدة روايات عن غيرها من علماء الصحابة؛ كابن عباس وابن عمر"[١].

والبحث يتفق مع صاحب تفسير المنار في ذلك، فالسيوطي الذي نقل خمس روايات في الدر المنثور في سبب نزول هذه الآية والمقصود بها عن الأئمة السابقين[٢] اعتمد في تفسير آية المائدة ومن قبلها آية البقرة على رواية البخاري[٣] فقال في تفسيرهما عبارة واحدة هي: "هوما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله! وبلى والله!"[٤] وهو مذهب جمهور المفسرين[٥].

أما الرواية الأولى التي ذكرها السيوطي عن ابن عباس فهي ضعيفة جدًا[٦] باعتبار كونها سببًا للنزول، لكن فحواها مقبول في تفسير الآية؛ لأنه يدخل تحت المعنى العام للآية، فهذه الرواية وغيرها -مما ذكره السيوطي وغيره- لا تعدو أن تكون صورًا محتملة في لغو اليمين.

والسياق الداخلي للآية يؤكد ذلك؛ فالصورة الأساسية التي ورد فيها الخبر هي الماثلة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ

---

(١) تفسير المنار ٢٩/٧-٣٠.

(٢) ينظر هذه الروايات -وغيرها أيضًا- في: تفسير الهداية ٧٤٥/١-٧٤٧، تفسير البسيط ١٩٥/٤-١٩٨، ٥٠٠/٧، تفسير البغوي ٢٩٥/١-٢٩٦، زاد المسير ٥٧٨/١، تفسير الرازي ٤١٩/١٢، تفسير القرطبي ٢٦٤/٦، تفسير النسفي ٤٧١/١، تفسير ابن كثير ٦٠٢/١.

(٣) ينظر: صحيح البخاري ٥٢/٦، رقم (٤٦١٣) ١٣٥/٨، رقم (٦٦٦٣).

(٤) تفسير الجلالين ص٤٨-١٥٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٤٤/١، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٥/١، تح/محمد فؤاد سزكين، ط/مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٨١هـ، تفسير عبد الرزاق ٣٤٢/١، تفسير الطبري ١٤/٤-١٩، معاني القرآن للزجاج ٢٩٩/١، تفسير ابن أبي حاتم ٤٠٨/٢، معاني القرآن للنحاس ١٨٩/١، تفسير الثعلبي ١٦٥/٢، تفسير الكشاف ٦٧٢/١.

(٦) ينظر: الاستيعاب ١٠١/٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [المائدة: ٨٧-٨٩] ثم جاء الوحي بعدم المؤاخذة في لغو اليمين بعدها مباشرة في الآية التي معنا؛ مما يدل على تعلقه بالأكل في أول أمره، ثم قيس عليه كل حلف تعلق بتحريم ما أحل الله في المأكل، والمشرب، والبيع، والنساء، وغيرها من الأمور المباحة، كما جاءت به الروايات، فهي جميعًا تتعانق في إظهار صور لغو اليمين الأساسية والفرعية على السواء. وقد فطن لذلك ابن عاشور، ونبه عليه في تفسيره[١].

٦- **قوله تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: ٨]

قال السيوطي في الدر المنثور[٢] في سبب نزول هذه الآية: "أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن إسحاق قال: دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ إليهم فيما بلغني، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعبدة بن عبد يغوث، وأبي بن خلف بن وهب، والعاصي بن وائل بن هشام: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويُرى معك، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ الآية".

فتعقبه صاحب تفسير المنار قائلًا: "ولا تصح هذه الرواية في سبب نزول الآية، وقد ذكرها السيوطي في الدر المنثور، ولم يذكرها في (لباب النقول في أسباب النزول) واقتراح معاندي المشركين إنزال الملك مع الرسول، ذُكر في الفرقان وهود والإسراء، وقد روي أن هذه السور الثلاث نزلت قبل الأنعام، والأنعام نزلت جملة واحدة، على ما تقدم بيانه في أول تفسيرها، فما فيها من الرد عليهم في هذه المسألة، إنما هو رد على شبهة سبقت لهم وحكيت عنهم، وكذلك اقتراح إنزال كتاب من السماء، وإنزال القرآن جملة واحدة، فهو في الفرقان"[٣].

فصاحب تفسير المنار أنكر رواية سبب النزول هنا، لما ذكره من علل، يتضح ضعف جلها من خلال الآتي:

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/٧.

(٢) ينظر: ٢٥١/٣.

(٣) تفسير المنار ٢٥٩/٧.

أولًا: جاء في رواية السيوطي عبارة: (فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ الآية) وهي تحتمل أمرين:

الأول: أن هذه الآية من جملة ما نزل في هذه الواقعة، وتعدد النازل لسبب واحد أقره جمهور العلماء[١] وسورة الأنعام من جملة ما نزل بمكة في زمن متقارب مع سورة الإسراء، وهود، والفرقان[٢].

والقول بنزول (الأنعام) مرة واحدة منازع فيه؛ فحيث ذهب بعضهم إلى ذلك استنادًا إلى حديث أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلًا جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح)[٣] استثنى آخرون من نزولها جملة بضع آيات[٤] علمًا بأن الحديث الذي استُند إليه في نزولها جملة لا يصح[٥] .

والآخر: أن هذه الآية من حكاية أقوالهم، ولم تنزل بسبب هذه الحادثة، فالله سبحانه يخبر عنهم أنهم قالوا ذلك مقترحين على رسول الله، وفي كلام الطبري وغيره ما يفيد ذلك[٦].

وأما ما ذكره صاحب تفسير المنار من أن السيوطي ذكر هذه الرواية في الدر المنثور، ولم يذكرها في لباب النقول، فأقول: لعل السيوطي فهم أنها من حكاية أقوالهم، وليست سببًا للنزول على نحو ما سبق؛ لذا لم يذكرها في سفره الخاص بأسباب النزول.

---

(١) ينظر: العجاب ١٦٩/١، مناهل العرفان ١٢١/١، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص١٤٧، دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص١٦٢.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣، البرهان للزركشي ١٩٣/١، الاتقان للسيوطي ٤٣/١.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٤٠، فضائل القرآن لابن الضريس ص٩٤، فضائل القرآن للمستغفري ٥٤٤/٢، البرهان للزركشي ١٩٩/١، عمدة القاري ٢١٨/١٨، الإتقان للسيوطي ٨٣/١، الزيادة والإحسان في علوم القرآن ٢٦٥/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٥٢٨/٢، أحكام القرآن لابن الفرس ٧/٣، عمدة القاري للعيني

(٥) ينظر: فتاوى ابن الصلاح ٢٤٩/١، رقم (٩٣) البرهان لزركشي ١٩٩/١، الإتقان ١٣٦/١، شرح القسطلاني لصحيح البخاري ١١٥/٧، المدخل لدراسة القرآن د/أبو شهبة ص٢٥٩.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ١٦٠/٩، تفسير الهداية ١٩٦٣/٣.

ثانيًا: رواية السيوطي مع ضعف سندها[1] يعاضدها السياق العام لسورة الأنعام، بالإضافة إلى سياق الآية الخاص؛ فسورة الأنعام تتحدث عن سفاهة كفار قريش في شركهم بالله واستهزائهم برسوله الكريم، وترد عليهم وتدحض حججهم، وهذه الآية وما بعدها تحكي طرفًا من استهزائهم برسول الله؛ حيث طلبوا منه ﷺ أن ينزل عليه ملك، يرى معه، ويشهد له، فأبطل الله اقتراحهم ذلك؛ بأنه لو أنزل ملكًا لجعله رجلًا، وألبس عليهم ما يلبسون على رسول الله، وبذلك رد الله كيدهم في نحورهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الأنعام: ٨-١١]

ومن ثم فالبحث لا يتفق مع تعقب تفسير المنار هنا، ولو أنه علل عدم قبول هذه الرواية في سبب نزول الآية بضعفها، وبعدم كونها ليست نصًا في سبب النزول، لكان لتعقبه وجه ولكنه ذهب إلى علل أخرى، لم يوافقه البحث عليها.

٧- **قوله تعالى:** ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩]

في سبب نزول هذه الآية قال السيوطي: "أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، من طريق سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد، وقروم بن كعب، وبحري بن عمرو فقالوا: يا محمد، ما نعلم مع الله إلهًا غيره، فقال: لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله في قولهم: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ﴾ الآية"[2].

فقال صاحب تفسير المنار في تعقبه: "وهذه الرواية لا تصح، ففي سندها محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت؛ قال الحافظ في تهذيب التهذيب: مدني مجهول تفرد عنه ابن إسحاق اهـ. وابن جرير رواه من طريق ابن إسحاق، والتحقيق أن السورة نزلت بمكة دفعة واحدة، إلا ما استثني، وليست هذه الآية منه"[3].

---

(1) ينظر: الاستيعاب ١٣١/٢.

(2) لباب النقول ص١٠٦.

(3) تفسير المنار ٢٨٢/٧.

فهو تعقبه –أولًا– في أنّ رواية السيوطي لا تصح؛ معللًا ذلك بذكر محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت في سندها، وهو مجهول، والبحث يتفق معه في ذلك؛ فالطبري صدر هذه الرواية بقوله: "وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم، من وجه لم تثبت صحته"[١] لذلك لم يذكرها إلا قليل من المفسرين[٢] وأصحاب كتب أسباب النزول[٣] .

ثم تعقبه –ثانيًا– أن السورة نزلت بمكة دفعة واحدة، إلا ما استثني، وليست هذه الآية منه ولا يوافقه البحث في هذا التعقب، وقد سبق الرد عليه في المسألة السابقة، بأن حديث نزول سورة الأنعام جملة لم يصح، أضف إلى ذلك أنه قد روي ما يخالفه هنا من ذكر سبب نزول قوي للآية، نص عليه جمهور المفسرين، وهو: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ أما وجد الله رسولًا غيرك، ما نرى أحدًا يصدقك بما تقول، وقد سألنا عنك أهل الكتاب، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فمن يشهد لك أن الله هو الذي أرسلك؟ فنزلت الآية[٤] .

وهذه الرواية مدونة في مصادر أسباب النزول[٥] كما أنها موافقة لسياق الآية؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٩-٢١] ففي هاتين

---

(١) تفسير الطبري ١٨٥/٩، وينظر أيضًا: لباب النقول ص١٠٦، ح/١، والاستيعاب ١٣١/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٨٥/٩، تفسير ابن أبي حاتم ١٢٧٢/٤.

(٣) ينظر: الصحيح من أسباب النزول ص١٧٩، جامع النقول ٨/٢.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٤٢٢/٣، ٤٠/٤، تفسير الثعلبي ١٤٠/٤، تفسير الهداية ١٩٧٨/٣، تفسير الماوردي ١٠٠/٢، التفسير البسيط ٤٦/٨، تفسير البغوي ١١٥/٢، التيسير في التفسير ٣٥/٦، زاد المسير ١٥/٢، تفسير الرازي ٤٩٧/١٢، تفسير القرطبي ٣٩٩/٦، تفسير البيضاوي ١٠٣/٢، البحر المحيط ٤٥٨/٤.

(٥) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٢١٤، إرشاد الرحمن ص٢٧٤، تسهيل الوصول ص١٤٢، جامع النقول ٨/٢، الجامع ص٢٤٧.

الآيتين أمر الله نبيه المصطفى ﷺ أن يقرهم على أن الله هو الشهيد الأكبر في ذلك، فإن لم يقروا فأعلْنها لهم بأن الله وحده شهيد بينه وبينهم، بعدما نكث أهل الكتاب عهودهم مع الله بإنكارهم رسول الله الخاتم وتكذيبهم له، مع أنهم يعرفونه معرفة أكيدة.

ويشهد السياق القرآني لهذه الرواية أيضًا؛ حيث يتردد صداها في كثير من آياته، التي عُنيت بكشف زيغ أهل الكتاب، وسوء طويتهم؛ مع أن الله قد أخذ عليهم المواثيق في ذلك، من مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦] وقوله عز من قائل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾ [آل عمران: ٨١-٨٣] وقوله سبحانه: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩-٧٠] ومن ثم فالبحث يوافقه في التعقب الأول، ويخالفه في الثاني.

تعقيب:

من خلال تحليل نماذج هذا المطلب يلاحظ ما يأتي:

١. يُحمد لصاحب تفسير المنار تحريه –غالبًا– رواية سبب النزول الصحيحة، المتفقة مع نظم القرآن ومعناه؛ مما جعله يردّ كثيرًا من الروايات الضعيفة، لكنه مع ذلك كان يقع –أحيانًا– فيما تعقبه فيه؛ إذ كان يورد عليه رواية أخرى محكومًا عليها بالضعف؛ كما في آية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] وكان الأجدر به إذ طعن في رواية السيوطي أن يذكر الرواية الصحيحة.

٢. لا يقتصر تعقب صاحب تفسير المنار على نقد السند، بل تعدى ذلك إلى نقد المتن أيضًا، وقد يجمع بينهما كما في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.

٣. قد يورد السيوطي الرواية في الدر المنثور، ولا يوردها في لباب النقول؛ لأنها ليست نصًا في سبب النزول؛ كما في آية: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾.

٤. السيوطي في تفسيره (الجلالين) أدق في اختياره لسبب النزول، منه في لباب النقول، والدر المنثور؛ مما يدل على أن السيوطي أشد تحريًا وانتقاء في تفسير الجلالين، فلعله –بجانب أنه بصدد توضيح مراد الله من كلامه– مما ألفه في آخر حياته، بعد دربة واستقرار على الأصح والأرجح، وقد ظهر هذا من تحليل آية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩] .

□

المطلب الثالث: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للثابت من حال رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أو أقوالهم

١- **قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]**

قال السيوطي في سبب نزول هذه الآية: "أخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل ونسيه بالنهار، فأنزل الله {ما ننسخ} الآية"[١] . وأوردها في الدر المنثور أيضًا[٢] .

وقد تعقبه صاحب تفسير المنار قائلًا: "وقالوا: إن المراد بالإنساء إزالة الآية من ذاكرة النبي ﷺ وقد اختلف في هذا: أيكون بعد التبليغ أم قبله؟ فقيل: بعده كما ورد في أصحاب بئر معونة، وقيل: قبله، حتى إن السيوطي روى في أسباب النزول أن الآية كانت تنزل على النبي ﷺ ليلًا فينساها نهارًا، فحزن لذلك، فنزلت الآية.

قال الأستاذ الإمام: ولا شك عندي في أن هذه الرواية مكذوبة، وأن مثل هذا النسيان محال على الأنبياء (عليهم السلام) لأنهم معصومون في التبليغ، والآيات الكريمة ناطقة بذلك؛ كقوله تعالى: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧]** وقوله: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]** وقد قال المحدّثون والأصوليون: إن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقليًا كان أو نقليًا؛ كأصول الاعتقاد، وهذه المسألة منها، فإن هذا النسيان ينافي العصمة المجمع عليها"[٣] .

ولم يأت على ذكر هذا السبب إلا نفر قليل من المفسرين[٤] وكذا أصحاب أسباب النزول[٥] مع تصريحهم بضعفه[٦] والسياق الداخلي للآية يشهد بذلك؛ حيث جاء قبلها

---

(١) لباب النقول ص١٩-٢٠.

(٢) ينظر: ١/٢٥٤.

(٣) تفسير المنار ١/٣٤١-٣٤٢، وينظر: ٧/٤٢٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٠٠، تفسير ابن كثير ١/٣٧٧، فتح القدير للشوكاني ١/١٤٨.

(٥) ينظر: إرشاد الرحمن ص٥٩، الاستيعاب ١/٥٥.

(٦) ينظر: الاستيعاب ١/٥٥، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ١١/٤٥٤.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥] أي: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم القرآن أيها المؤمنون، وهو الرحمة التي اختص الله بها العرب دون أهل الكتاب؛ فعجّت قلوبهم بالحسد[١]. وحول هذا المعنى دارت الآيات اللاحقة، فأتت على ذكر اليهود والنصارى كثيرًا؛ لتصفهما بالحسد على المؤمنين، والاعتقاد بأن الجنة مقصورة عليهما، والكراهية الدفينة من إحداهما على الأخرى، مع تشبه المشركين بهما في اقتراح الآيات وإنكار القرآن الكريم، ثم عدم رضاهما على رسول الله ﷺ حتى يتبع ملتهم، لكن هيهات! فما الهدى إلا ما أنزله الله على رسوله الخاتم، وفي ختام ذلك توجهت الآيات إلى ندائهم وحثهم على تذكر نعم الله عليهم؛ ليقبلوا على الله طائعين له ولرسوله الكريم؛ تجد ذلك ماثلًا في الآيات من قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ..﴾ [البقرة: ١٢٢].

ومن ثم فالمراد بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ..﴾ [البقرة: ١٠٦] نسخ الآيات السابقة المنزلة على الأنبياء، أو نسيانها أساسًا؛ ليهيمن عليها جميعًا القرآن الكريم. وحمْل النسخ والنسيان هنا على الآيات السابقة وليس على آيات القرآن، هو ما توصلتُ إليه بعد استقراء السياق الداخلي كاملًا، ولم يقل بذلك غير أبي مسلم. وجمهور المفسرين على أن النسخ والنسيان في آيات القرآن الكريم، مع اختلافهم في تأويل ذلك[٢] .

لذا فالبحث يتفق مع تفسير المنار في تعقبه السيوطي هنا، في أن هذه الرواية مكذوبة، وأن مثل هذا النسيان بهذه الطريقة التي تنافي العصمة محال على الأنبياء (عليهم السلام) بدليل السياق القرآني المتمثل في قوله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢/٣٨٦-٣٨٧.

(٢) ينظر: زاد المسير ١/٩٨، وتفسير الرازي ٣/٦٤٠-٦٤١.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦-١٧] وأما الاستثناء من عدم النسيان في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ﴾ [الأعلى: ٦-٧] فكان "بعض أهل العربية يقول في ذلك: لم يشأ الله أن ينسى شيئًا، وهو كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] ولا يشاء"[1] ومع كون النسيان جائزًا في حقه ﷺ فهو يقع منه على نحو يليق بنبوته وجلالته عند ربه، وليس على هذا النحو المروي في سبب النزول.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ...۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ...﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠]

ذكر السيوطي في سبب تنزيلهما روايتين[2] :

الأولى: أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى، قال: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك: الآيتين.

والثانية: أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: بلغني أن رجلًا قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك قال: لا، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل الله الآيتين.

فتعقبه الأستاذ الإمام في روايته الثانية قائلًا: "إن ما روي من أن بعض الصحابة طلب أن يسجدوا للرسول هو من الروايات التي لم يق الله المسلمين شرها، ولا حاجة إليها في القرآن، فإن الآية متصلة بما قبلها، فهي في سياق الرد على أهل الكتاب؛ إبطال لما ادعاه بعضهم من أن لله تعالى ابنًا أو أبناء حقيقة، وأن بعض الأنبياء

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٣١٦.

(٢) لباب النقول ص٥٤.

أثبت ذلك لنفسه، وصرح بأن هذه الدعوى مما يدخل في ليّ اللسان بالكتاب وتحريفه بالتأويل، ويصح أن تكون ردًا على أصحاب هذه الدعوى ابتداءً مستأنفًا استئنافًا بيانيًا، كأن النفس تتشوف بعد بيان حال فرق اليهود إلى بيان حال النصارى وما يدعون في المسيح، فجاءت الآيتان في ذلك"[١] .

هذا والرواية الأولى نص عليها كثير من المفسرين[٢] وكذلك الرواية الثانية[٣] والروايتان محفوظتان في كتب أسباب التنزيل[٤] مع الحكم عليهما بالضعف[٥] .

ويؤكد ضعفهما السياق الداخلي للآيتين؛ فقد سبقتا بآيات تفيد عدم وفاء أهل الكتاب بالعهد، وإيثارهم الدنيا على الآخرة، وتحريفهم الكتب المنزلة عليهم، حتى وصل النظم الحكيم إلى الآيتين محل الدراسة، وفيهما يشنع على هؤلاء اتخاذهم عيسى عليه السلام إلهًا من دون الله، وما كان له (عليه السلام) وهو بشر أن يأمرهم بذلك أبدًا، لكنهم أهل خيانة ومخالفة للعهود، فذلك دأبهم مع أنبيائهم، وكذا مع رسول الله ﷺ مع أن الله قد أقرهم على الإيمان به على لسان أنبيائهم، لكنهم أخلفوا الله ما وعدوه، وآثروا مللهم التي حرفوها على اتباع دين الإسلام، فويل لهم يوم القيامة! هذا عن مفهوم سياق الآيتين مع ما يكتنفهما من آيات سابقة ولاحقة، تبدأ من قوله تعالى:

---

(١) تفسير المنار ٢٨٥/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥٢٤/٥-٥٢٥، تفسير ابن أبي حاتم ٦٩٣/٢، تفسير الثعلبي ١٠١/٣، تفسير الهداية ١٠٥٧/٢ تفسير الماوردي ٤٠٥/١، التفسير البسيط ٣٧٦/٥-٣٧٧، تفسير البغوي ٤٦٣/١، تفسير الكشاف ٣٧٧/١، زاد المسير ٢٩٨/١، تفسير القرطبي ٢٨١/٥، البحر المحيط ٢٢٩/٣، تفسير ابن كثير ٦٦/٢.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي ١٠١/٣، تفسير الكشاف ٣٧٧/١، زاد المسير ٢٩٨/١، تفسير الرازي ٢٧٠/٨، تفسير البيضاوي ٢٥/٢، تفسير النسفي ٢٦٨/١، البحر المحيط ٢٢٩/٣.

(٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١١٢-١١٣، العجاب ٧٠٤/٢-٧٠٥، الاستيعاب ٢٦٨/١، إرشاد الرحمن ص١٥٦، تسهيل الوصول ص٧٤، الصحيح من أسباب النزول ص٨٨-٨٩، جامع النقول ص٣٥٣-٣٥٤.

(٥) ينظر: الاستيعاب ٢٦٨/١-٢٦٩.

﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ ..﴾ [آل عمران: ٧٥] وتنتهي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ [آل عمران: ٩١].

وهي جميعًا تنتظم في عقد واحد لإبطال عقيدة أهل الكتاب، وتؤكد أن المراد بالبشر في قوله: {ما كان لبشر} هو سيدنا عيسى (عليه السلام) وليس سيدنا محمدًا ﷺ ومن ثم فالبحث يتفق مع تعقب الإمام محمد عبده هنا.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [النساء: ٣٢]

نقل صاحب تفسير المنار[١] ثلاث روايات في أسباب نزولها عن الواحدي، والسيوطي في الدر المنثور[٢] وهي:

الأولى: عن مجاهد عن أم سلمة قالت: يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو، ولا نقاتل فنستشهد، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله الآية.

والثانية: عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد، فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت.

والثالثة: عن قتادة والسدي قالا: لما نزل قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١] قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا؛ كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء، وقالت النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة؛ كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فأنزل الله تعالى الآية.

ثم تعقب هذه الروايات الثلاث قائلًا: "وهي لا تتفق اتفاقًا بينًا مع المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير التمني بالحسد، فقد روي عنه أنه قال فيها: لا يقل أحدكم: ليت ما أُعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان عندي، فإن ذلك يكون حسدًا، ولكن ليقل: اللهم أعطني مثله.

---

(١) ينظر: ٥/٤٧-٤٨.

(٢) ينظر: ٢/٥٠٧.

الأستاذ الإمام: سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية، ومعناها ظاهر، وهو أن الله تعالى كلف كلًا من الرجال والنساء أعمالًا، فما كان خاصًا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء، وما كان خاصًا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر"[١] .

وهذه الروايات جد متقاربة إلى حد التداخل؛ لذلك فهي تمثل الوجه المقابل لقول ابن عباس في تفسير الآية[٢] ورواية أم سلمة نص عليها جمهور المفسرين[٣] ومصادر أسباب التنزيل[٤] وتفسير الآية في ضوئها هو رأي أكثر المفسرين[٥] .

ولهذا لا يتفق البحث مع تعقب الشيخ رشيد هنا، وكذا مع ترجيح ابن كثير لقول ابن عباس ﵄ المروي عنه[٦]؛ بدليل السياق الداخلي للآيات سباقًا ولحاقًا؛ فقد سبقت بالحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة، وسنّ الحدود المنظمة لها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ [النساء:

---

(١) تفسير المنار ٤٨/٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٦٦٤/٦-٦٦٦، معاني القرآن للزجاج ٤٥/٢، تفسير ابن أبي حاتم ٩٣٥/٣، تفسير الماتريدي ١٤٨/٣، معاني القرآن للنحاس ٧٣/٢-٧٤، أحكام القرآن لبكر بن العلاء ٣٧٨/١، تفسير الهداية ١٣٠٧/٢، تفسير ابن كثير ٢٨٧/٢، العجاب ٨٦٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ص٢٧٣، تفسير عبد الرزاق ٤٤٩/١-٤٥٠، تفسير الطبري ٦٦٣/٦-٦٦٧، معاني القرآن للزجاج ٤٥/٢، تفسير ابن المنذر ٦٧٦/٢-٦٧٧، تفسير ابن أبي حاتم ٩٣٥/٣، تفسير الماتريدي ١٤٨/٣، معاني القرآن للنحاس ٧٣/٢، تفسير الثعلبي ٢٢٩/٣، تفسير الهداية ١٣٠٧/٢.

(٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٤٩-١٥٠، العجاب ٨٦١/٢-٨٦٤.

(٥) ينظر: التفسير البسيط ٤٧٧/٦. هذا بالإضافة إلى كونها رواية صحيحة، وليست مرسلة؛ كما ذهب بعضهم؛ بحجة أن مجاهدًا لم يسمع من أم سلمة. [ينظر: مسند أحمد ٣٢٠/٢٤، سنن الترمذي ٢٣٧/٥، تفسير القرطبي ١٦٢/٥، العجاب ٨٦٢/٢] لكن مجاهدًا أدرك أم سلمة؛ حيث ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وماتت أم سلمة سنة ستين من الهجرة، فإمكان اللقاء حاصل بينهما، وقد سمع من (علي ﵁) وهو أقدم موتًا من أم سلمة بعشرين سنة. [ينظر: المستدرك على الصحيحين ٣٣٥/٢، الاستيعاب ٣٨١/١].

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٨٧/٢.

١٩] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥].

ويتمثل سياق اللحاق للآية في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢] أي من الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية لكلا الجنسين: الرجال والنساء على السواء[١] وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ﴾ [النساء: ٣٣] أي لكلٍ من الرجل والمرأة ورثة من قرابته وعصبته[٢] وفي قوله عز وجل أيضًا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤] أي الرجال أهل قيام على نسائهم بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سوق المهر، والإنفاق، وغير ذلك مما خص الله به الرجال على النساء تفضلًا[٣].

ومن ثم فالسياق الداخلي للآية يعاضد السياق الخارجي برواياته الثلاث، التي تصب في اتجاه واحد نحو المراد من الآية وتجليه، وليست تنمّ عن اضطراب في مفهومها؛ فالروايات الثلاث لا تعارض بينها ولا اختلاف، وإنما هي جميعًا تدل على المعنى الظاهر الذي نص عليه الأستاذ الإمام، وهو (أن الله تعالى كلّف كلًا من الرجل والمرأة أعمالًا، وعدهم عليها بالأجر، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر) ولا يجوز أن يُعرض عنها في مقابل القول المأثور عن ابن عباس؛ لأنها هي التي تتفق مع سياق الآيات، وبذلك تعانق السياقان في إظهار المراد.

٤-**قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]

ذكر السيوطي في سبب نزولها عن ابن عباس: "أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٦/٦٦٧-٦٦٨.

(٢) ينظر: السابق ٦/٦٧١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٦/٦٨٧، التفسير البسيط ٦/٤٨٦.

صرنا أذلة، قال: إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة، أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله الآية"[١] .

وتعقبه الشيخ رشيد رضا بالإشارة إلى روايات أخرى عند ابن جرير، تقول بأنها في أناس من الصحابة على الإبهام، وذكر روايته عن مجاهد أنها نزلت هي وآيات بعدها في اليهود[٢] وصرح أيضًا برأي أستاذه الإمام محمد عبده فقال: "قال الأستاذ الإمام: إنني أجزم ببطلان هذه الرواية، مهما كان سندها؛ لأنني أبرئ السابقين الأولين؛ كسعد، وعبد الرحمن، مما رموا به، وهذه الآية متصلة بما قبلها"[٣] .

فنقل الشيخ رشيد رضا عن أستاذه استنكاره نزول الآية في بعض كبار الصحابة، واختياره أنها في ضعاف الإيمان منهم، وذكر وجهًا آخر وهو أنها نزلت في المنافقين، ثم وفق بينهما قائلًا: "والظاهر أن الآية في جماعة المسلمين، وفيهم المنافقون والضعفاء"[٤] .

بدايةً رواية السيوطي سندها صحيح[٥] وعليها أكثر المفسرين في سبب نزول هذه الآية[٦] وسجلتها مصادر أسباب النزول[٧] والرواية التي عند ابن جرير وغيره[٨] أنها

---

(١) لباب النقول ص٧٧.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٢١٤/٥، ٢١٥.

(٣) تفسير المنار ٢١٤/٥.

(٤) تفسير المنار ٢١٤/٥-٢١٥.

(٥) ينظر: الصحيح المسند ص٧١-٧٢، الاستيعاب ٤٣٥/١.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ٢٣١/٧، تفسير ابن المنذر ٧٩٤/٢، تفسير الثعلبي ٣٤٥/٣، تفسير الهداية ١٣٨٩/٢، التفسير البسيط ٦٠٥/٦، تفسير البغوي ٦٦٣/١، التيسير في التفسير ١٨٠/٣، ١١٢/٥، تفسير الرازي ١٤٢/١٠، تفسير القرطبي ٢٨١/٥، البحر المحيط ٧١٢/٣، تفسير ابن كثير ٣٥٩/٢.

(٧) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٦٦، العجاب ٩١٧/٢، الصحيح المسند ص٧١، الاستيعاب ٤٣٥/١، إرشاد الرحمن ص٢١٠، تسهيل الوصول ص١٠٩، المحرر ص٤٠٥، صحيح أسباب النزول ص٨٢، الصحيح من أسباب النزول ص١٣٢، جامع النقول ص٤٩١، الجامع ص١٩٤.

(٨) ينظر: تفسير الطبري ٢٣٢/٧، تفسير ابن أبي حاتم ١٠٠٤/٣، تفسير الماتريدي ٢٥٩/٣، تفسير الهداية ١٣٨٨/٢، تفسير الماوردي ٥٠٧/١، التفسير البسيط ٦٠٥/٦، تفسير الكشاف ٥٣٥/١، أحكام القرآن لابن العربي ٥٨٦/١، زاد المسير ٤٣٣/١.

في أناس من الصحابة، هي صحيحة لغيرها؛ حيث يشهد لها حديث ابن عباس السابق[1] ومن ثم فهي منه، وتعد وجهًا آخر له.

وأما ما نقله الشيخ رشيد رضا عن الأستاذ الإمام محمد عبده، فلا يتفق معه البحث لعدة أسباب:

أولًا: لثبوت صحة الرواية كما سبق.

ثانيًا: لأنه بنى رأيه على تنزيه الصحابة؛ كسعد، وعبد الرحمن مما رموا به، وليس في الرواية ما يشين هؤلاء الأطهار البررة، ولو تأملنا موقع الشاهد، وهو (أمرهم بالقتال فكفوا) لاتضح لنا الأمر، ومن موقع الشاهد أيضًا في روايات أخرى: (أمرنا بالقتال فكفوا) و(كرهه بعضهم) فلماذا نجعل الضمير في (كفوا) و(بعضهم) راجعًا إلى الصحابة؟ ولو كان هذا هو المقصود لقيل: (أمرنا بالقتال فكففنا) أو (كرهناه).

ثالثًا: لجَعْل المراد بهؤلاء الذين كفوا ضعفاء المسلمين؛ حيث يرى البحث أن المراد بهم المنافقون، وهذا هو الوجه الآخر الذي ذكره صاحب تفسير المنار تجاه ما ذكره الأستاذ الإمام، ثم وفّق بينهما بأن الآية في جماعة المسلمين، وفيهم المنافقون والضعفاء.

ولكن البحث يخالف الأستاذ في رأيه، وتلميذه في التوفيق بين الوجهين، ويؤكد أن المراد بهم المنافقون فقط على ما ورد في رواية نزولها فيهم؛ مستدلًا بالسياق الداخلي للآية في سياقها السابق واللاحق على السواء، فالآية سبقت بالحديث عن المنافقين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] ومتبوعة بذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] وما بعدها، وهذا ما رجحه بعض المفسرين؛ كالرازي، والقرطبي، وابن كثير[2] وبهذا السياق يرد ما روي عن مجاهد أنها نزلت في اليهود[3]

---

(1) ينظر: الاستيعاب ٤٣٦/١.

(2) ينظر: تفسير الرازي ١٤٣/١٠، تفسير القرطبي ٢٨١/٥، تفسير ابن كثير ٣٥٩/٢.

(3) ينظر: تفسير مجاهد ص٢٤١، تفسير الطبري ٢٣٣/٧، تفسير ابن المنذر ٧٩٣/٢، تفسير ابن أبي حاتم ١٠٠٣/٣، تفسير الماتريدي ٢٥٩/٣، معاني القرآن للنحاس ٢٤٨/١، تفسير الهداية ١٣٨٩/٢، تفسير الماوردي ٥٠٨/١، زاد المسير ٤٣٣/١، تفسير القرطبي ٢٨١/٥، البحر المحيط ٧١٣/٣، تفسير ابن كثير ٣٦٠/٢.

ولضعف هذه الرواية أيضًا[١] ومن ثم فالبحث لا يتفق مع ما ذهب إليه هنا الأستاذ الإمام، وتلميذه الشيخ رشيد.

****

تعقيب:

من خلال تحليل نماذج هذا المطلب يلاحظ ما يأتي:

١. لا يلزم من وجود أكثر من رواية لسبب النزول، ترجيح إحداها على الأخرى، فقد تتعانق جميعًا في إبداء المعنى المراد من الآية، فإذا تكاتف معها السياق الداخلي، باء المعنى بالقدح المعلَّى؛ كما في آية: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢].

٢. هناك روايات لا حاجة إليها في القرآن الكريم؛ لأنها تضر ولا تنفع، ويجب على المفسرين وغيرهم ممن عنوا بها التحذير منها؛ كما فعل صاحب المنار في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

٣. يتطلب نقد تلك الروايات جهدًا كبيرًا، فيجب على الناقد أن يكون مطلعًا على قواعد اللغويين، والأصوليين، والمحدّثين، وملمًا بسيرة المصطفى ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم بالإضافة إلى استقراء سياق الآية الخاص، والسياق القرآني العام.

---

(١) ينظر: الاستيعاب ٤٣٧/١.

المطلب الرابع: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اختلاف التعبير أو خطأ التصوير

١- **قوله تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]

نقل السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رواه "أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أَمّ أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] قالوا انتهينا ربنا"[١].

فتعقبه صاحب تفسير المنار مقارنًا بين نقله هذا وكلامه في التفسير؛ فقال: "وقال (الجلال) في تفسير آية البقرة: (إنها لما نزلت، شربها قوم وامتنع آخرون، حتى نزلت آية المائدة) وهو مخالف للإطلاق الذي نقلناه آنفا عن كتاب أسباب النزول له.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي –وصححه– والنسائي وغيرهم عن عمر أنه قال: (اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فإنها تذهب بالمال والعقل) فنزلت هذه الآية، فدعي عمر فقرئت عليه فقال: (اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيًا) فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فكان ينادي رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة: (أن لا يقربن الصلاة سكران) فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: (اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيًا) فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه. فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩١] قال عمر: (انتهينا انتهينا) ولا يتوقف فهم معنى الآيات على شيء من هذه الروايات"[٢].

---

(١) لباب النقول ص١٠٣.

(٢) تفسير المنار ٢/٢٥٦، وينظر كلام السيوطي في: تفسيره الجلالين ص٤٦.

وكأنه يريد أن يدلنا على ضعف روايتي سبب التنزيل عند السيوطي من خلال الاضطراب في العبارة، لكن السيوطي فيهما ناقل عن غيره؛ حيث نص على الخبر الوارد في تفسيره بعض المفسرين[١] وأما الخبر الثاني الذي ذكره في لباب النقول فهو في مسند الإمام أحمد[٢] ولا تعارض بينهما، ولا هناك اضطراب في عبارته؛ لأن (الإطلاق) في رواية السيوطي في لباب النقول متوجه إلى تلك الفئة التي لم تمتنع من شربها حتى جاء النهي القاطع عنها، وأما تعبيره في تفسيره فهو كان بصدد تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] وفيه تحذير فقط لا نهي؛ لذا شربها قوم مولَعين بنفعها غير عابئين بإثمها، وامتنع آخرون قد استشعروا مراد الله من كلامه، فانصاعوا له وتركوها.

ومن ثم فالبحث لا يتفق مع صاحب تفسير المنار في محاولة إثبات اضطراب التعبير عند السيوطي في روايتيه بين لباب النقول وتفسيره، فهو لم يكن كذلك، بل كان ناقلًا أمينًا ومفسرًا دقيقًا.

وإن كانت رواية سبب النزول التي أوردها صاحب المنار عن عمر رضي الله عنه أصح[٣] وكذا أشهر؛ حيث صرح بها سببًا لتنزيل هذه الآية جمهور المفسرين[٤] وأصحاب السنن[٥] وكتب أسباب النزول[٦] فإنها لا تنهض وحدها سببًا لنزول الآية؛ لأن الآية

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣٣٩/١، تفسير الطبري ٦٨١/٣، ٦٨٤، تفسير النسفي ١٨١/١، درج الدرر للجرجاني ٥٨٢/١، تفسير القرطبي ٢٨٦/٦.

(٢) ينظر: ٢٦٨/١٤.

(٣) ينظر: مسند أحمد ٣٢٢/١، ح/٣٧٨، الاستيعاب ١٥٩/١.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للطحاوي ١١٣/١، تفسير الماتريدي ٦٠٥/٣، تفسير الهداية ١٨٦٣/٣، تفسير الماوردي ٦٤/٢، التيسير في التفسير ١٩٧/٣، أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٨/١، ١٦٣/٢، تفسير ابن كثير ٥٧٨/١، تفسير الكشاف ٢٦٠/١، زاد المسير ١٨٣/١، تفسير القرطبي ٢٠٠/٥.

(٥) ينظر: مسند أحمد ٤٤٢/١، تاريخ المدينة لابن شبة ٨٦٣/٣، سنن أبي داود ٥١٤/٥، سنن الترمذي ٢٥٣/٥، المستدرك على الصحيحين ٣٠٥/٢، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٧/١٣.

(٦) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص٢٠٨، العجاب ٥٤٥/١، الاستيعاب ١٥٩/١-١٦١، المحرر ص٢٦٢، صحيح أسباب النزول ص٤١، جامع النقول ص٢٦٤، الجامع ص٨٩.

تضمنت السؤال عن الخمر والميسر، وليس في الخبر إلا السؤال عن الخمر، لذا وجب التنبيه على أن هناك رواية أخرى في هذا الشأن، وهي أن عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، ونفرًا من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فأنزل الله هذه الآية[1] وبذلك تتعانق هذه الروايات وتتعاضد في توضيح كلام الله وتوجيهه.

على أن صاحب المنار ختم كلامه بأنه لا يتوقف فهم الآيات على شيء من هذه الروايات؛ لكن البحث يرى أنه لا يخلو ذكر هذه الروايات من فائدة؛ ففي إيرادها فوائد عديدة، منها الوقوف على المعنى، ومعرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع، مع إظهار براعة النظم الحكيم في تحقيق ذلك، وهذا ما نهضت به تلك الروايات. ومن ثم فالبحث لا يتفق مع تعقب صاحب تفسير المنار هنا.

٢-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤]

قدم الجلال هذه الآية بذكر سبب نزولها، فقال: "ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد، فشكوا الجراحات ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾"[2].

فتعقبه صاحب تفسير المنار قائلًا: "روى ابن جرير أن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في غزوة أحد كما نزل فيها: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠] حين باتوا مثقلين بالجراح، أقول: وقبل آية آل عمران هذه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] فالظاهر أن عكرمة ذكر مسألة (أحد) رواية عن ابن عباس، واستنبط من موافقة معنى الآية التي نحن بصدد تفسيرها لآية آل عمران، أنها نزلت مثلها في غزوة أحد، ثم جاء الجلال فنقل رأي عكرمة بالمعنى من غير عزو، فأخطأ في تصويره ... وقد رد قوله الأستاذ الإمام في الدرس؛ فقال: المعروف في القصة أن

---

(1) ينظر: تفسير الثعلبي ١٤١/٢، أسباب النزول للواحدي ص٧١، التفسير البسيط ١٤٦/٤، تفسير البغوي ٢٧٦/١، البحر المحيط ٤٠٢/٢، العجاب ٥٤٥/١، المحرر ٢٦٥/١، جامع النقول ص٢٦٣، الجامع ص٨٨.

(2) تفسير الجلالين ص١٢١.

الصحابة ﷺ كانوا بعد غزوة أحد يرغبون اقتفاء أثر أبي سفيان على إثقالهم بالجراح، ولا حاجة في فهم الآية إلى ما ذكر، بل هو مناف للأسلوب البليغ؛ إذ القصة ذكرت في سورة آل عمران تامة، وهذه جاءت في سياق أحكام أخرى"[١].

والسيوطي في ذلك تابع للعلماء، وعنهم ناقل؛ حيث صرحوا بهذا السبب من قبله[٢] وللبحث رأي في تعقب تفسير المنار له يتمثل في الآتي:

أولًا: في قوله: (ثم جاء الجلال فنقل رأي عكرمة بالمعنى من غير عزو، فأخطأ في تصويره) فالبحث لا يتفق معه في ذلك؛ لأن السيوطي في تفسيره ينتقي عبارته ويختصرها ويتصرف فيها، فلا يورد روايات النزول كاملة السند والمتن، بل يحذف السند، ويختصر المتن؛ فلا حرج عليه في صنيعه ذلك؛ لأنه خاضع لمنهجه العام في التفسير.

ثانيًا: في قوله عن الأستاذ الإمام: (المعروف في القصة أن الصحابة ﷺ كانوا بعد غزوة أحد يرغبون اقتفاء أثر أبي سفيان على إثقالهم بالجراح .. إلخ) فالبحث يتفق معه في ذلك؛ بدليل السياق الداخلي للآية؛ حيث سبقت بالحديث عن الهجرة والإذن بها من أرض الشرك وأهلها إلى أرض الإسلام وأهلها بالمدينة؛ ثم انتقلت الآيات إلى الأحكام المصاحبة للمسلم في هجرته وحربه من قصر الصلاة، وصلاة الخوف، حتى إذا اطمأن المسلم في وطنه أدى الصلاة بحقوقها.

ولما تعرض لاستقرار المسلمين في أوطانهم بعد الهجرة والحرب، حذرهم من الخلود للدعة وترك الجهاد، ونهاهم عن عدم التماس الأعداء وطلبهم؛ لأن حصول الألم قدر مشترك بينهم وبين الأعداء، فإن لم يكن مانعًا لهم من قتالكم، فأحرى بكم أيها المؤمنون ذلك، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون من الاستعانة به على النصر، وطلب الشهادة، والفوز بالجنة، تجد ذلك ماثلًا في الآيات من قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾ [**النساء: ١٠٠**] إلى الآية التي معنا، وكان الإمام محمد عبده جِد موفق عندما ذكر أن الصحابة بعد غزوة أحد كانوا يرغبون في اقتفاء أثر أبي سفيان على إثقالهم بالجراح، فهذا ما صوره القرآن

---

(١) تفسير المنار ٣١٦/٥، وينظر رواية ابن جرير الطبري في تفسيره ٤٥٥/٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤٥٥/٧، تفسير الثعلبي ٣٨٠/٣، تفسير البسيط ٦٥/٧، تفسير البغوي ٦٩٧/١-٦٩٨، التيسير في التفسير ١٨٠/٥، تفسير الكشاف ٥٦١/١، زاد المسير ٤٦٤/١، تفسير الخازن ٤٢٣/١، البحر المحيط ٥٤/٤.

الكريم في آية: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣] أما هنا فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ ..﴾ [النساء: ١٠٣] قبل قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾ [النساء: ١٠٤] قرينة صارفة عما ذكره السيوطي تبعًا لعكرمة، من أن ذلك كان في غزوة أحد. لكن دعوى الاضطراب والخطأ في تعبير السيوطي من تفسير المنار لم يوافقه البحث عليها، فالسيوطي إمام جليل، معدود من أكابر علماء الأمة في علوم شتى، بمؤلفات عديدة.

تعقيب:

من خلال تحليل نموذجي هذا المطلب يلاحظ ما يأتي:

١. صرح صاحب تفسير المنار في آية:﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ [البقرة: ٢١٩] بأن فهم الآيات لا يتوقف على شيء من روايات أسباب النزول، وهو قول يمكن قبوله لدى الآيات التي لم يرد فيها إشارة إلى تلك الأسباب، أما التي حملت تلك الإشارة فيحسن تقديمها بهذه الروايات؛ لتساعد على فهم معناها، وإدراك الحكمة في تشريعها، وغيرهما من الفوائد.

٢. اهتم صاحب تفسير المنار بكل ما يتعلق بروايات أسباب النزول عند السيوطي، فلم يقتصر على كتابه الذي ألفه لذلك خصيصى، بل تعدى ذلك إلى النظر فيما أورده في تفسيريه: الجلالين والدر المنثور، ومن ثم كان يوازن أحيانًا بين ما ذكره في لباب النقول وما ورد في هذين السفرين كما في آية ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ [البقرة: ٢١٩] علمًا بأنه في تفسيره يتصرف في هذه الروايات، فيحذف السند ويختصر المتن؛ كما ظهر في آية: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾ [النساء: ١٠٤] وليس كذلك في كتابيه الآخرين.

٣. السيوطي إمام كبير في العربية بجانب علوم شتى، ودعوى تفسير المنار اختلاف التعبير أو خطأ التصوير في رواياته، لم تثبت عند التحقيق؛ إذ كان ناقلًا أمينًا، ومفسرًا دقيقًا، ذا قلم سديد، وعقل شديد، فهذه الدعوى لدى ساحته هباء، وهو منها براء؛ كما ظهر في نموذجي البقرة والنساء.

المطلب الخامس: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للسياق الداخلي

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [آل عمران: ١٩٠].

أورد السيوطي في سبب نزولها ما أخرجه: "الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ.. ﴾ فليتفكروا فيها"[١] .

فتعقبه صاحب تفسير المنار بقوله: "وأنت لا ترى المناسبة قوية بين الاقتراح وبين الآية إلا من حيث إن مراد القرآن الاستدلال بآيات الله في الكائنات على حقيقة ما يدعو إليه النبي ﷺ من عبادة الله وحده دون الخوارق، والآيات الكونية، وقد ورد الرد على هؤلاء المقترحين في كثير من السور المكية"[٢] .

وقد نص على هذه الرواية بعض المفسرين[٣] كما سجلتها مصادر أسباب النزول[٤] لكن هذه الرواية محكوم عليها بالضعف[٥] كما أن فيها إشكالًا مع الآية؛ لأنها مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبًا كان بمكة.

واحتجاج صاحب تفسير المنار في رد هذه الرواية بالسياق الداخلي، مما يحمد له، فقد استعاذ بمعاذ، وآوى إلى ركن مكين؛ ففي سياق الآية ما يدل على عدم توافقها مع

---

(١) لباب النقول ص٦٣-٦٤.

(٢) تفسير المنار ٤/٢٤٤.

(٣) ينظر: تفسير ابن المنذر ٢/٥٣١-٥٣٢، تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٢٨، تفسير الثعلبي ٣/٢٣١، تفسير ابن كثير ٢/١٨٣، مصاعد النظر للبقاعي ٢/٨٠، فتح القدير للشوكاني ١/٤٧٢، تفسير الآلوسي ٢/٣٦٨.

(٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٣٨، العجاب ٢/٨١٧، الاستيعاب ١/٣٥٠، إرشاد الرحمن ص١٧٥، تسهيل الوصول ص٩١، الجامع ص١٦٢، جامع النقول ص٤٢٩.

(٥) ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٦/٣٢٩، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/٨٠، لباب النقول ص٦٤، ح/١، الاستيعاب ١/٣٥١.

كلام المشركين في رواية السيوطي؛ حيث إن الخطاب أساسًا في هذه الآية وما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥-١٩٦] موجه إلى أولي الألباب من المؤمنين الصادقين، الذين يذكرون الله في كل حال، ويجأرون إليه بالدعاء في كل أمر، وقد استجاب لهم ربهم، ولن تخيب آمالهم يوم الحساب؛ ومن ثم فالبحث متفق مع رأي صاحب تفسير المنار هنا؛ في عدم المناسبة بين رواية سبب التنزيل ومضمون الآية.

٢-قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ﴾ [النساء: ٨٨]

ذكر السيوطي في سبب نزولها ثلاث روايات[١] :

الأولى: روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين؛ فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا؛ فأنزل الله الآية.

والثانية: عن سعد بن معاذ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني؟ فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك، فقام سعد بن عباده فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ ولقد عرفت ما هو منك، فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين، فقام محمد بن مسلمة فقال: اسكتوا يا أيها الناس! فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ أمره؛ فأنزل الله الآية.

والثالثة: أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف أن قومًا من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا، وأصابهم وباء المدينة وحماها فأركسوا، فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة حسنة، فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا؛ فأنزل الله الآية. وفي إسناده تدليس وانقطاع.

---

(١) ينظر: لباب النقول ص٧٨، وينظر الرواية الأولى أيضًا في: صحيح البخاري ٢٢/٣، رقم (١٨٨٤) صحيح مسلم ٢١٤٢/٤، رقم (٢٧٧٦) كما ينظر الثانية في: سنن سعيد بن منصور ١٣١٣/٤، والثالثة في: مسند أحمد ٢٠٤/٣.

والسيوطي في ذلك تابع لمن سبقه وناقل عنهم[١] وقد أتى على ذكر هذه الروايات كتب أسباب النزول[٢] لكن صاحب المنار لما لم يطمئن لهذه الروايات الثلاث –بما فيها رواية الشيخين– أردفها بذكر رواية أخرى عن ابن عباس وقتادة (أنها نزلت في قوم بمكة كانوا يظهرون الإسلام، ويعينون المشركين على المسلمين) مصرحًا بترجيح بعضهم لها على ما سبق، حتى على رواية الشيخين؛ بدليل ذكر المهاجرة في الآية الثانية.

ثم دعّم السياق الداخلي بدليل آخر من السياق الخارجي، وهو أن الأحكام التي ذكرت في الآية لم يعمل النبي ﷺ بها في أحد ممن قالوا إنها نزلت فيهم، ونقل عن ابن جرير ترجيحه لرواية ابن عباس السابقة[٣] ثم استدل أيضًا بما ذكره السيوطي وغيره في سبب نزول الآية الثالثة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [النساء: ٩٠] بأن هذه الروايات تردّ ما ذكره السيوطي في أسباب نزول الآية الأولى، وتؤيد ما قاله الإمام محمد عبده في كون المنافقين في هذا السياق هم المنافقون في العهد والولاء[٤] .

والبحث يتفق مع صاحب المنار فيما ذهب إليه، فالروايات الثلاث في سبب نزول الآية الأولى التي ذكرها السيوطي لا تتناسب مع سياق الآية الداخلي القريب والبعيد على السواء؛ القريب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٨٩] يعني حتى يهاجروا إلى دار الهجرة بالمدينة[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٨٠/٧-٢٨٦، تفسير ابن أبي حاتم ١٠٢٢/٣-١٠٢٤، تفسير الماتريدي ٢٨٩/٣، تفسير الثعلبي ٣٥٥/٣-٣٥٦، تفسير الهداية ١٤٠٨/٢-١٤٠٩، تفسير الماوردي ٥١٤/١، زاد المسير ٤٤٣/١-٤٤٤، تفسير القرطبي ٣٠٦/٥-٣٠٧، البحر المحيط ٨/٤، تفسير ابن كثير ٣٧٠/٢-٣٧١.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص١٦٧-١٦٩، الصحيح المسند ص٧٢-٧٣، الاستيعاب ٤٤١/١-٤٤٧، المحرر ص٤١٣، صحيح أسباب النزول ص٨٣-٨٤، الصحيح من أسباب النزول ص١٣٤، جامع النقول ٤٦٩-٤٩٩، الجامع ص١٩٦-١٩٧.

(٣) ينظر: تفسير المنار ٢٦٠/٤-٢٦٢، وترجيح الطبري في تفسيره ٣٨٧/٧.

(٤) ينظر: تفسير المنار ٢٦٧/٤.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل ٣٩٥/١، تفسير الطبري ٢٨٧/٧، تفسير الهداية ١٤٠٩/٢.

وهذا ما صرح به بعض المفسرين ردًا على رواية الصحيحين، التي تفيد أنهم كانوا بالمدينة فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ يرده[1]، إلا إن حملت المهاجرة على هجرة ما نهى الله عنه[2] وهذا يرده السياق البعيد للآية المتمثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ [النساء: ٩٧] فهذا تتميم لما سبق، ويرجح أن المراد بالمنافقين في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ هم الذين أسلموا ولم يهاجروا وناصروا المشركين على المسلمين، وقد روي ذلك عن الضحاك[3] .

وليس المراد بهم المنافقين في العهد والولاء؛ كما ذهب الإمام محمد عبده، بدليل لفظ (المنافقين) ذاته، فهو خاص بالدين متميزًا من (الخيانة) التي تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة[4] وبالجملة فالبحث يتفق مع صاحب المنار هنا في تعقبه الروايات الثلاث عند السيوطي في سبب نزول آية ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ وقد أكبر استعانته فيه بالسياق الداخلي والخارجي.

تعقيب:

من خلال تحليل نموذجي هذا المطلب يلاحظ: أن صاحب المنار استعان بالسياق الداخلي في رد روايات سبب نزول الآيتين هنا، ولم يمنعه من ذلك صحة الرواية وعلو سندها؛ كما في آية: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ [النساء: ٨٨] وقد وافقه البحث لقوة حجته؛ بناء على القاعدة السابقة؛ في أنه عند الاختلاف بين رواية أسباب النزول والنص القرآني، يقدم النص القرآني المعجز لفظًا ومعنًى. وقد دعم صاحب المنار السياق الداخلي بالسياق الخارجي، المتمثل في فعل النبي ﷺ في الآية السابقة، فتعانق السياقان عنده في الترجيح، وقد أكبر البحث ذلك وعده من محاسن تعقبه.

---

(1) ينظر: تفسير الطبري ٣٨٧/٧، أحكام القرآن للجصاص ٢٧٤/٢، أحكام القرآن لابن العربي ٥٩٤/١.

(2) ينظر: البحر المحيط ٨/٤.

(3) ينظر: صحيح البخاري ٤٨/٦، رقم (٤٥٩٦) تفسير الطبري ٣٨١/٧-٣٨٧، تفسير الماتريدي ٣٣٤/٣، تفسير الثعلبي ٣٧٢/٣، التحرير والتنوير ١٥٠/٥.

(4) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص١٦٢، تح/نديم مرعشلي، ط/دار الفكر، بيروت.

الخاتمـــــة

بعد دراسة فكرة تعقب أسباب النزول عند السيوطي في تفسير المنار للإمام الأستاذ وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، يود البحث تسجيل أهم النتائج التي تكشفت من خلال تحليل أربعة وعشرين نموذجًا، وبيانها كالآتي:

- أهمية أسباب النزول وفوائدها لا تتوقف على آيات الأحكام، وبعض الوقائع؛ كما رأى صاحب تفسير المنار، بل تتسع فوائدها لكل المقاصد الدينية لآيات الذكر الحكيم.
- لا صحة لما تبناه صاحب تفسير المنار من أن تعلّق سبب النزول بآية أو بجزء منها مما يفكك الآيات، ويفصل بعضها عن بعض، ويجعل القرآن عضين متفرقة، فأسباب النزول تتعلق بآية أو أكثر، وقد تتعلق بجزء آية، ولا شيء في ذلك.
- تأثر صاحب تفسير المنار –فيما يبدو– برأي الإمام العز بن عبد السلام، في أن حسن ارتباط الكلام يشترط فيه أن يقع في أمر متحد، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه هذا الارتباط، ومن ثم رأى صاحب التفسير أن سبب النزول مما يجعل للآيات أسبابًا مختلفة، ويقطع اتصالها، ويؤكد البحث أن أسباب النزول لا تقطع هذا الاتصال، بل تساعد على إدراك المناسبة بين الآيات؛ ومن ثم فلا تعارض بين أسباب النزول وعلم المناسبات؛ لأن الآيات على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا.
- القرآن كامل في ذاته، تام في مبناه ومعناه، ولا يفتقر إلى شيء من الخارج، إلا ما كان في آياته إشارة إليه؛ لذا عند التعارض بين مدلول سبب النزول ومدلول النص القرآني، يقدم النص القرآني، فهو الحاكم على أسباب النزول، وليس العكس؛ ومن ثم اعتمد البحث على السياق الداخلي كثيرًا في الحكم على روايات أسباب النزول، وتقييم تعقب صاحب تفسير المنار.
- توسع صاحب تفسير المنار في تعقبه روايات أسباب النزول عند السيوطي، فلم يقتصر على ما ذكره في لباب النقول، بل تناول ما ذكره في تفسيريه: الجلالين، والدر المنثور، وكان في تعقبه يتناول (السند) من حيث الصحة والضعف، كما يتناول (المتن) من حيث ملاءمته لمدلول الآيات، وإذا تعارض السبب –أيًا كان درجته– مع النص القرآني، حكّم النص القرآني، مقدمًا العقل على النقل أحيانًا، في صورة واضحة لأثر المدرسة العقلية على بعض آرائه هنا.
- أحصى البحث في تعقب تفسير المنار أسباب النزول عند السيوطي –دون مروياته التاريخية والإسرائيلية– أربعًا وعشرين (٢٤) مسألة، ، وقد وافقه البحث في عشر

منها، وخالفه في أربع عشرة، وهي نسبة متقاربة تدل على أن كلًّا من المتعقِّب والمتعقَّب، له من الحق ما له، وعليه ما عليه، ولا يبوء أحدهما بكفة الصواب المطلق أو الخطأ المطلق، بل الكفتان متقاربتان، لثقل ما يزينهما من علم، ورجحان كفة المخالفة يفسر ما بدا على بعض تعقب صاحب تفسير المنار من آثار التكلف؛ ولا سيما في أن سبب النزول –عنده– يؤدي إلى تمزيق المعنى وتفكيك السياق الداخلي.

- رد صاحب تفسير المنار أسباب النزول عند السيوطي للأسباب الآتية:

١. دلالتها على تخصيص المعنى، وتفكيك النص القرآني.
٢. ضعف سندها أو متنها.
٣. مخالفتها للثابت من حال رسول الله ﷺ ومكانته، وعصمته.
٤. عدم مناسبتها لحال الصحابة رضي الله عنهم وسمو مكانتهم عند ربهم.
٥. عدم اتفاقها مع المأثور من قول الصحابي في تفسير الآية.
٦. اختلاف التعبير، أو خطأ التصوير عند السيوطي.
٧. مخالفتها للسياق الداخلي للآية.

هذا وقد أطلّ على الباحث أثناء الدراسة وصيتان، يرى استحباب الأخذ بهما:

الأولى: دراسة تعقب تفسير المنار آراء الإمام السيوطي في كل المجالات اللغوية؛ حيث جاء هذا التعقب في دلالة المفردات، وتأويل الجمل، وبعض الظواهر التركيبية، والسياق الخارجي، فهو في حاجة إلى دراسة شاملة؛ للفصل بين هؤلاء الأئمة الأعلام، وللخروج بنتائج تامة، فلا شك أن هذه الدراسة النقدية الواسعة مما يعود على الدرس اللغوي بثمرة عظيمة.

والثانية: عمل موسوعة لغوية في أسباب النزول تجمع كل ما يدخل تحت هذا الباب من بطون الكتب، مع الحكم عليها صحة وضعفًا، وبيان دورها في فهم الآيات وإبراز المناسبة بينها، فالدراسات المتاحة مع كثرتها لا تفي بحاجة اللغوي والمفسر والمحدث معًا، ولا تسد غلتهم جميعًا، فينبغي على الباحثين –في دراسة بينية واسعة– تقديم ذلك كله في كتاب واحد حتى يتحقق الغرض المرجو منها.

والحمد لله في البدء والختام، والصلاة على خير الأنام
محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه والسلام

□

ثبت أهم المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- إرشاد الرحمن لأسباب النزول للشيخ/ عطية بن عطية الأجهوري، تح/أبو الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، بيروت، ط(١) ٢٠٠٩م.
- أسباب النزول للسيوطي تح/حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط(٢) ٢٠١٣م.
- أسباب النزول للواحدي، تح/عصام الحميدان، دار الإصلاح بالدمام، ط(٢) ١٩٩٢م.
- الاستيعاب في بيان الأسباب، تأليف/ سليم الهلالي، ومحمد آل نصر، دار ابن الجوزي بالدمام، ط(١) ١٤٢٥هـ.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تح/ صدقي محمد جميل ورفاقه، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط(١) ١٩٥٧م.
- تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول- الشيخ خالد عبد الرحمن العِكّ، دار المعرفة، بيروت، ط(١) ١٩٩٨م.
- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح/سامي بن محمد السلامة، دار طيبة لنشر والتوزيع، ط(٢) ١٩٩٩م.
- التفسير البسيط للواحدي، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط(١) ١٤٣٠ هـ.
- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح/عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط(١)١٤٢٠ هـ.
- تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح/محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١) ١٤١٨هـ.
- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي ، ط/دار الحديث بالقاهرة.

- تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، تح/محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٥هـ.
- تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط(٣) ١٤٢٠هـ.
- تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح/د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط(١) ١٤٢٢هـ.
- تفسير المنار: تفسير القرآن الحكيم للأستاذ الإمام محمد عبده، تأليف/ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح/أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية، ط(٣) ١٤١٩هـ.
- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط(٢) ١٣٨٤هـ.
- تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، تح/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط(١) ٢٠٠٢م.
- تفسير الماتريدي: تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، تح/مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط(١) ١٤٢٦هـ.
- تفسير الماوردي: النكت والعيون، تح/السيد بن عبد المقصود، ط/دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير مجاهد، تح/محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة بمصر، ط(١) ١٤١٠هـ.
- التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي، تح/ماهر أديب وآخرين، دار اللباب- تركيا، ط(١) ١٤٤٠هـ.
- جامع النقول في أسباب النزول- ابن خليفة عليوي، مطابع الإشعاع بالرياض، ط(١) ١٤٠٤هـ.
- الجامع في أسباب النزول- حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط(١) ٢٠١٠م.

- الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق د/خُلود العُموش، عالم الكتب الحديث بالأردن، ط(١) ١٤٢٩هـ.
- دراسات في علوم القرآن الكريم د/فهد الرومي، فهرسة مكتبة فهد الوطنية بالرياض ط(١٤) ١٤٢٦هـ.
- دراسة المعنى عند الأصوليين د/طاهر سليمان حمودة، ط/الدار الجامعية، ١٩٨٣م.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي، دار المنار بالقاهرة ط(١) ١٩٩١م.
- دلالة السياق في النص القرآني د/علي حميد خضيّر، الأكاديمية العربية في الدانمارك، ٢٠١٤م.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تح/عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام، تح/مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط(٢)١٩٥٥م.
- صحيح أسباب النزول- إبراهيم محمد العلي، دار القلم بدمشق، ط(٢) ٢٠١٤م.
- الصحيح من أسباب النزول- عصام الحميدان ، مؤسسة الريان، بيروت، ط(١) ١٩٩٩م.
- العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، دار ابن حزم، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ.
- فصول في علم الدلالة د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط(٣) ٢٠١١م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، تح/مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، ط(٣) ١٤٠٧هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، تح/عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢٠٠٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها د/تمام حسان، عالم الكتب ط(٦) ٢٠٠٩م.
- مباحث في علوم القرآن د/صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ط(١٠) ١٩٧٧م.
- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ط/الدار السعودية للنشر.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة د/خالد المزيني، دار ابن الجوزي بالدمام، ط(١) ١٤٢٧هـ.

- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة، ط(٢) ٢٠٠٣م.
- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تح/محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ط(١) ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن للفراء، تح/محمد على النجار ورفاقه، ط(١) لدار المصرية.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تح/عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط(١) ١٤٠٨هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط(٣).
- النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن د/محمد عبد الباسط عيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- نظرية السياق د. عبد النعيم خليل، دار الوفاء بالإسكندرية، ط(١) ٢٠٠٧م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، تح/مجموعة رسائل جامعية، بجامعة الشارقة، نشر/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة بالشارقة، ط(١) ٢٠٠٨م.

مجلات ودوريات:

- أثر السياق في فهم النص القرآني د/عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء بالمغرب ع/٢٥ يوليو ٢٠٠٧م.
- التدقيق في أسباب النزول د/محمد رجب البيومي، مجلة التضامن الإسلامي س٣٥، ج٢، شعبان/ يونيو ١٩٨٠م.
- المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير د.عادل رشاد غنيم، بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية بالرياض، جامعة الملك سعود، مج٢، ٢٠١٣م.
- موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات د/أحمد مفلح القضاة، مجلة الدراسات الإسلامية والعربية، ع/٢٨، ديسمبر ٢٠٠٤م.

□

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
• **المقـــدمة**	٣٣٩
• **تمهيد: السياق الخارجي (أسباب النزول) بين الإمام السيوطي وتفسير المنار**	٣٤٣
– المطلب الأول: أسباب النزول والسياق الخارجي	٣٤٣
– المطلب الثاني: أسباب النزول بين الإمام السيوطي وتفسير المنار	٣٤٩
المطلب الأول: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اقتضائه تخصيص المعنى وتمزيق السياق الداخلي	٣٥٣
١. قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥]	٣٥٣
٢. قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٣٩].	٣٥٦
٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]	٣٥٧
٤. قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:١٦٣- ١٦٤]	٣٥٩
٥. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]	٣٦٢
٦. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]	٣٦٤
٧. قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ ... ٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧-٢١٨]	٣٦٨
٨. قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٣]	٣٧٠
٩. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]	٣٧١
المطلب الثاني: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في ضعف السند والمتن أو أحدهما	٣٧٥
١. قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]	٣٧٥
٢. قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ [النساء: ٤٩]	٣٧٧

٣. قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]	٣٧٨
٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]	٣٨٠
٥. قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]	٣٨٤
٦. قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]	٣٨٦
٧. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام: ١٩]	٣٨٨
المطلب الثالث: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للثابت من حال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وصحابته الكرام أو أقوالهم	٣٩٢
١. قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]	٣٩٢
٢. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [آل عمران: ٧٩]	٣٩٤
٣. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]	٣٩٦
٤. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]	٣٩٨
المطلب الرابع: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في اختلاف التعبير أو خطأ التصوير	٤٠٢
١. قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]	٤٠٢
٢. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤]	٤٠٤
المطلب الخامس: تعقب تفسير المنار سبب النزول عند السيوطي في مخالفته للسياق الداخلي	٤٠٧
١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]	٤٠٧
٢. قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨]	٤٠٨
• **الخاتـــــمة**	٤١١
• **ثبت أهم المصادر والمراجع**	٤١٣
• **فهرس الموضـــــوعات**	٤١٧